



جامع عكبر بن الجاصم

بالفسطاط

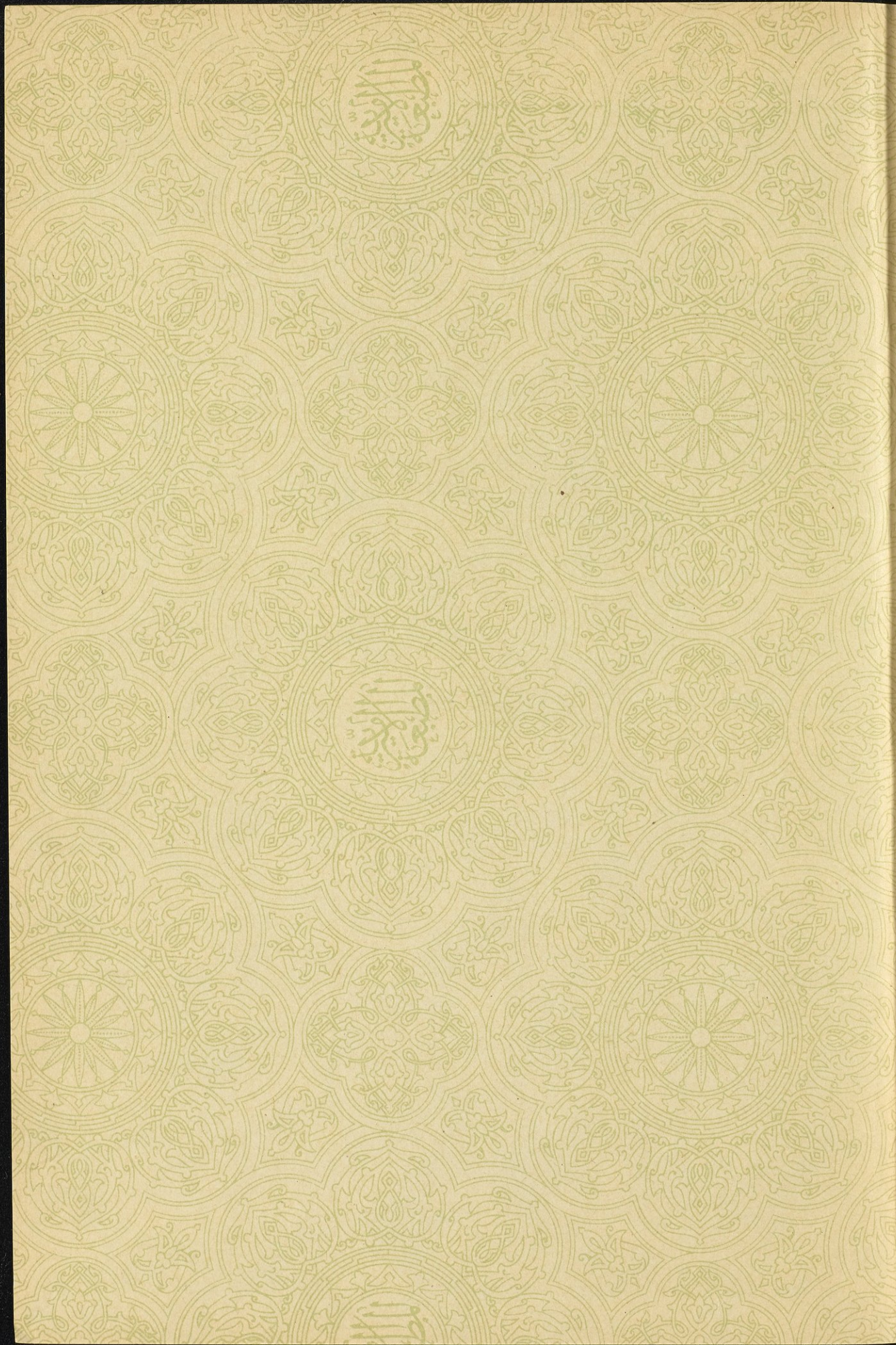
من الناجين التارخية والأثرية

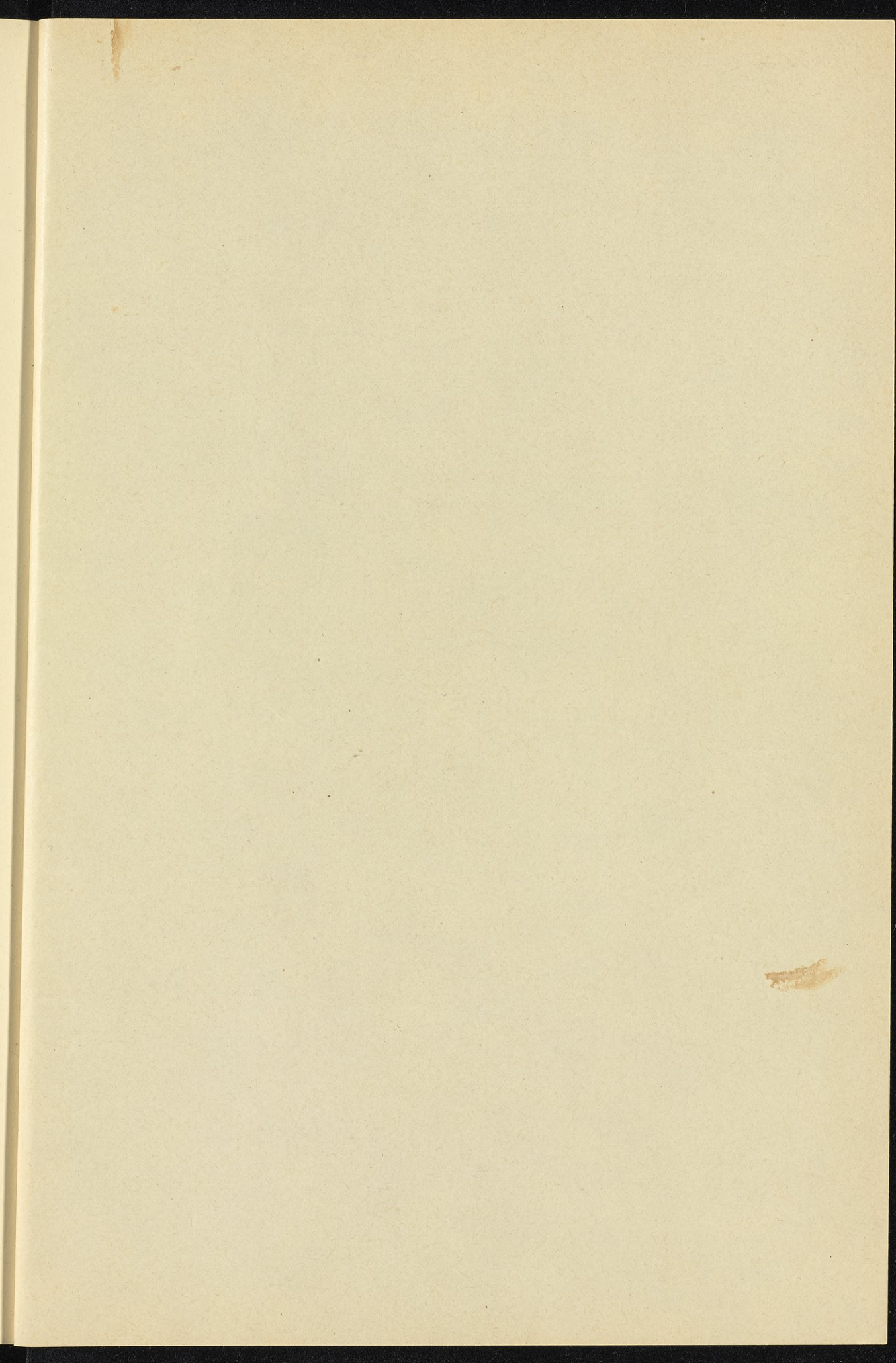
N
C
A
1
C



BOBST LIBRARY

3 1142 01727 2801





Ahmad, Mahmūd

al-Jāmi' Amr ibn al-ʿĀṣ

bi-al-Fustāt

وزارة المعارف العمومية

جامع عمرو بن العاص

بالفسطاط

من الناجيتين التاريخية والأثرية

هذه الرسالة تصف حالة الجامع منذ إنشائه إلى الآن وما طرأ عليه من زيادات وإصلاحات وما اكتشف أخيراً من زخارفه ونقوشه وأبوابه ونوافذه وتخطيط أروقته وصحنه مما ساعد على وضع تصميم له يشمل حالته أيام مجده وازدهاره

تأليف

محمود أحمد

مدير إدارة حفظ الآثار العربية

الطبعة الأولى

كافة الحقوق محفوظة لل المؤلف

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٨

NA

6083

A57

A45

1938

C.1



لهضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر

Case No. 12187 - 10/15/1915

فهرس

صفحة	
١	تمهيد
٢	ترجمة عمرو بن العاص
٤	موقع الجامع
٥	مقاس الجامع بعد إنشائه
٥	إشتراك الصحابة في تحرير قبيلته
٥	أعمال مسلمة بن مخلد بالجامع
٦	بناء أربع صوامع
٦	أعمال عبد العزيز بن مروان
٧	أعمال عبد العزيز بن عبد الملك
٧	أعمال قرة بن شريك
٧	المحراب المنجوف
٩	أعمال صالح بن علي
١٠	زيادة موسى بن عيسى
١٠	زيادة عبد الله بن طاهر
١٤	تخطيط الجامع قبل الزيادة
١٤	تخطيط الجامع بعد الزيادة
١٥	تأثير الزيادة على البناء
١٦	إمكان وجود بقايا بالجامع من عهد ابن طاهر
١٨	الإصلاح والتجميل
١٦	عمارة نحارويه بن أحمد بن طولون

صفحة	
١٨ زيارة أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى للجامع ووصفه إياه
عمارات الدولة الفاطمية	
١٩ عمارة الخليفة العزيز بالله
١٩ عمارة الخليفة الحاكم بأمر الله
٢١ عمارة الخليفة المستنصر بالله
٢١ عمارة القاضي أبو عبد الله أحمد بن محمد
٢٢ وصف بيت المال
٢٢ فوارة ابن كلس
٢٥ محل مئذنة عرفة
٢٦ مأذن الجامع

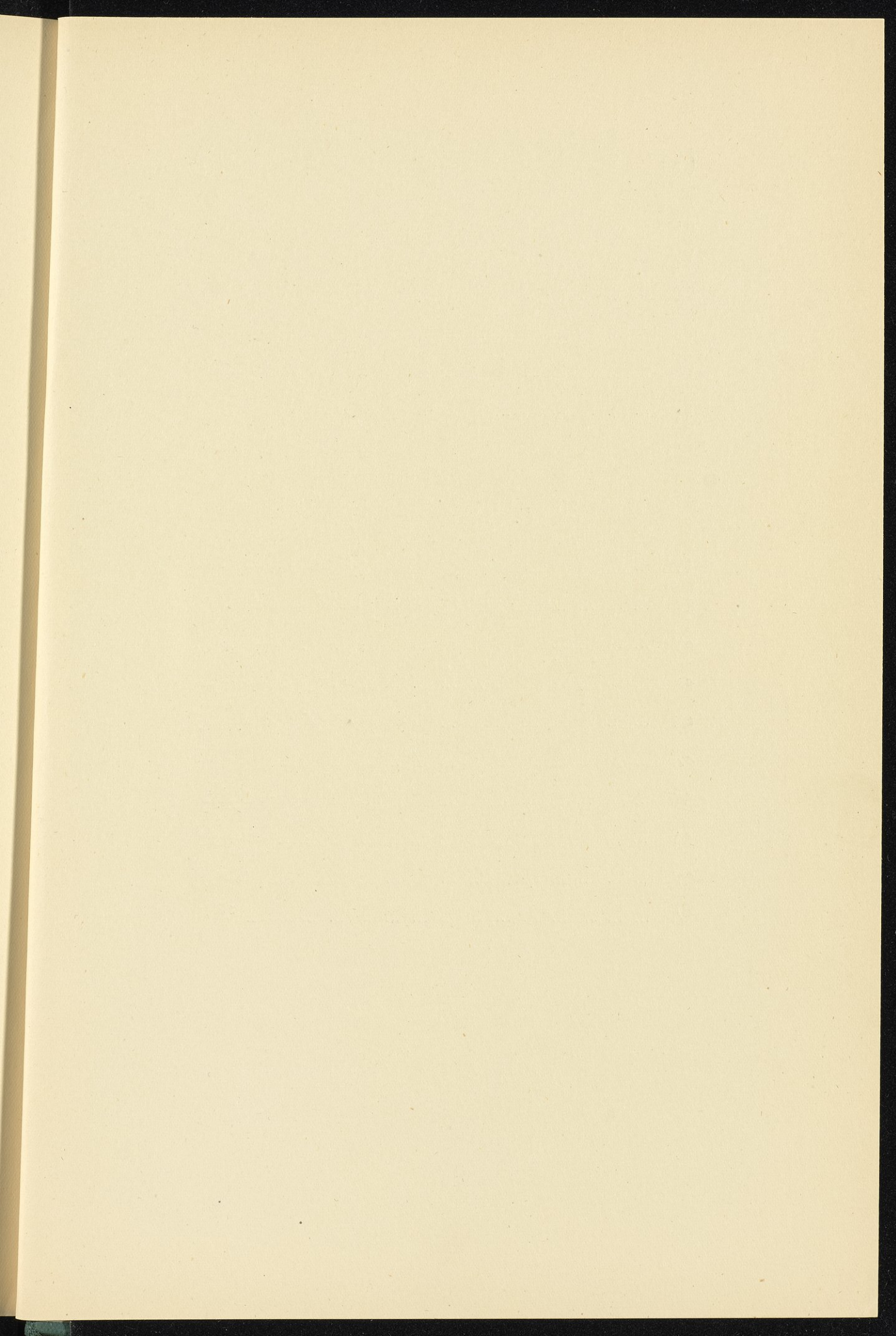
الصيانة والترميم

٢٧ حريق الجامع وتخرّبه عند حريق القسطنطين سنة ٥٦٤ هـ
٢٨ عمارة السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي
٢٨ وصف ابن سعيد المغربي للجامع
٢٩ وصف خالد بن عيسى البلوى للجامع
٣١ عمارة الظاهر بيبرس
٣٢ عمارة المنصور قلاون
٣٢ عمارة الأمير سلار
٣٦ عمارة علاء الدين نائب دار العدل
٣٦ عمارة الصاحب تاج الدين بن حنّا
٣٦ عمارة صدر الدين بن البارنبارى
٣٦ عمارة الرئيس برهان الدين
٣٧ عمارة السلطان قايتباى

صفحة	
٣٧	عمارة مراد بك
٣٧	صلاة آخر جمعة من رمضان
٣٩	وصف الجبوتي للجامع
٣٩	عمارة وزارة الأوقاف
٤٠	أعمال لجنة حفظ الآثار العربية
٤١	عمل مسابقة لتجديد الجامع

تفاصيل الجامع كما وصفها ابن دقماق

٤٣	مقاس الجامع ومناقشة ابن دقماق وكوريت بك
٤٦	أعمدة الجامع — تحقيقها ومناقشة ابن دقماق
٥٢	أبواب الجامع
٥٥	ضريح عبد الله بن عمرو
٥٦	وفاة عبد الله بن عمرو وموضع قبره
٥٨	المحاريب
٦٢	الشبابيك وعددها
٩١	نجارة الجامع
٩٣	الزيادات
٩٨	الخاتمة



(ز)

المصادر

(١)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — تأليف شمس الدين أبي عبد الله المقدسي البشاري — طبع ليدن .

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري .

الإصابة في تمييز الصحابة — للمافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني .

الأعلاق النفيسة لأبي علي أحمد بن رسته — طبع ليدن .

الانتصار بواسطة عقد الأمصار — تأليف إبراهيم بن محمد بن ايدصر العلاني .

(ت)

تاج المفروق في تحلية علماء المشرق لخالد بن عيسى البلوي (خط) .

تاريخ جامع عمرو بن عبد العزيز القديمة — تأليف (كوربت بك) باللغة الانجليزية .

(ح)

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة — للمافظ جلال الدين السيوطي .

(ص)

صبح الأعشى لأبي العباس القلقشندي .

(ع)

عجائب الآثار في التراجم والأخبار — تأليف عبد الرحمن الجبرتي .

(ف)

فوات الوفيات - لابن شاکر الکتبی .

(م)

معجم البلدان - للإمام شهاب الدین أبی عبد الله یاقوت بن عبد الله الحموی
الرومی البغدادی .

المواعظ والاعتبار بذکر الخطط والآثار - للإمام تقی الدین أحمد بن علی بن
عبد القادر بن محمد المقریزی .

(ن)

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر والقاهرة - لجمال الدین أبی المحاسن یوسف بن تغری
بردی .

(و)

کتاب ولاة مصر وقضاتها لأبی عمر محمد بن یوسف الکندی المصری .

(ط)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

يمتاز جامع عمرو بن العاص بالفسطاط على سواه من سائر جوامع
القطر المصرى بأنه الوحيد الذى عاصر جميع الحكومات التى قامت
بمصر منذ الفتح العربى الى الآن ، وشهد جميع التطورات التى حدثت
خلال أكثر من ثلاثة عشر قرنا تغير فيها من حال الى حال . فقد
نشأ صغيرا متواضعا ثم نما وكبر وازدهى وازدهر حتى حاز لقب
” تاج الجوامع “ وأخيرا شاخ وهرم حتى قارب الفناء .

الا أن شهرته التاريخية مازالت ذائعة فى كافة الأقطار ، فلا يصل
إلى مصر أثرى أو مستشرق بل ولا غريب حتى يبادر إلى زيارة هذا
” الجامع العتيق “ .

لهذا رأيت الحاجة ماسة الى وضع رسالة عنه من ناحيته التاريخية
والفنية ، مستندا فى وضعها إلى ما كتبه المؤرخون عنه . وإلى
البقايا القليلة القديمة التى أبقى عليها الدهر ثم إلى أعمال التنقيب التى
قمت باجرائها مدة ثلاث سنوات متوالية .

ومع أنى طرقت أبوابا لم يسبق طرقها من قبل وأدليت بآراء جديدة
 فى مواضع طرقها كثيرون قبلى، فانى أرجو من حضرات المشتغلين
 بمثل هذه البحوث أن يحصوا هذه الآراء ويناقشوها بعناية زائدة
 حتى تظهر الحقيقة ناصعة .

ولا يفوتنى قبل أن أختم هذه الكلمة أن أتقدم بجزيل الشكر إلى
 حضرات أعضاء القسم الفنى للجنة حفظ الآثار العربية على تشجيعهم
 إياى وتقديم جميع المساعدات التى مكنتنى من وضع هذه الرسالة .

كذلك إلى حضرات زملائى الفنين بقسم الآثار العربية الذين
 عاونونى على عمل الرسوم والفتوغرافيات بدقة وعناية فانهم جديرون
 بمثل هذا الشكر ما

محمود احمد

القاهرة فى يناير سنة ١٩٣٥

(ك)

فهرس الأعلام

(١)

- أحمد بن طولون — ١٨ و ٩٤
أحمد بن محمد العجيفي — ١٨
أسامة بن زيد — ٢٢
الأفضل شاهنشاه — ٢٦
أمورى — ٢٧
ابن أبي عاصم — ٥٦
ابن البرقي — ٥٦
ابن دقناق — إبراهيم بن محمد بن ايدير العلائى ٤ و ١٣ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٥
و ٤٢ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٨ و ٥٢ و ٥٧ و ٥٨ و ٦٥ و ٩٣ و ٩٤
ابن رسته — أبي على أحمد بن عمر — ٢١ و ٢٢
ابن شاكر الكتبي — محمد بن شاكر بن أحمد — ٢٧
ابن المتوج — ٤٤
ابن ميسر — أبي عبد الله محمد بن على بن يوسف بن شاهنشاه بن جلب — ٢٦
ابن يونس — ٥٧
أبو أيوب — أحمد بن شجاع — ٢٠
أبو أيوب — ٩٤
أبو بكر محمد بن الحسن السوسى — ٢٥

- أبو حفص - عمر القاضي العباسي - ١٨
 (القاضي) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبي زكريا - ٢١
 أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري - ١٨
 أبو عبيده بن الجراح - ٢
 أبو عمر الكندي - ٦
 أبو الفرج - يعقوب بن كلس - ١٩ و ٢٢

(ب)

- (القاضي) بدر الدين بن خطاب - ٣٢
 برجوان - ١٩
 برهان الدين - إبراهيم بن عمر بن علي المحلي - ٣٦
 بيبرس البندقداري - ٣٠ و ٣١ و ٣٥

(ت)

- (قاضي القضاة) - تاج الدين - ٣٠
 (» ») - « » القاسم - ٣٢
 تاج الدين بن حنّا - ٣٦

(ج)

- الجبرتي - عبد الرحمن - ٣٧ و ٣٩

(ح)

- الحارث - ١٦
 الحاكم بأمر الله - ١٤ و ١٥ و ١٩ و ٢٠

(خ)

خالد بن عيسى المغربي - ٢٩

نهارويه بن أحمد بن طولون - ١٨

(ر)

الرشيد - ١٠

(ز)

زياد بن أبيه - ١٤

(س)

سعد بن أبي وقاص - ١

سلار نائب السلطنة - ٣٢

سليم المصري - ٢٧

سليمان بن عبد الملك - ٢٢

السيوطي - (جلال الدين) - ٥

(ش)

شاور - ٢٧

(ص)

صالح بن علي - ٩

الصالح نجم الدين أيوب - ٢٨

صدر الدين البارنباري - ٣٦

صالح الدين الأيوبي - ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٧

(ع)

العاقد — ٢٧

عبد الله بن طاهر — ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٢١ و ٣٧ و ٦١ و ٨٦
و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٧

عبد الله بن عمرو — ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨

عبد العزيز بن مروان — ٦

عبد الملك بن مروان — ٦

عبد الملك بن موسى بن نصير — ٩

عثمان بن عفان — ٢

عز الدين الأفرم — ٣٢

العزير بالله — ١٩

علاء الدين نائب دار العدل — ٣٦

علي بن موسى بن سعيد المغربي — ٢٩ و ٣٠

عمر بن الخطاب — ١ و ٢

عمر بن عبد العزيز — ٧

عمرو بن العاص — ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٧ و ١٨

عيسى بن يزيد الجلودى — ١٣ و ١٦

(غ)

غنية بن غزوان — ١

(ف)

فاطمة بنت عفان - ٦١

فاطمة الزهراء - ٦١

(ق)

قرة بن شريك - ١ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٤

قلاون - ٣٢

القلقشندی - ٢٦

قيسبة بن كلثوم - ٤

(ك)

كوريت بك - ٤٤ و ٥٢ و ٩٧

(م)

المأمون - ١

محمد علي باشا - ٣٩

(الناصر) محمد بن قلاون - ٣٥ و ٧٥

مجمود احمد - ٤٥

مجمود فهمي باشا - ٤١

مروان بن الحكم - ٥٦

الإمام المستضيء بنور الله - ٣٠

المستنصر - ١٩ و ٥٨

مسلمة بن مخلد - ٦٥ و ٨

(م)

مراد بك — ١٥ و ٢٥ و ٢٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٥٨ و ٦١

المقریزی — تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ١٣ و ٢٥ و ٢٨
و ٣٧ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٧ و ٩٣

مروان بن محمد — ٩

موسى بن عيسى — ١٠ و ١٦

(ن)

(السيدة) نفيسة — ٦١

(الصالح) نجم الدين أيوب — ٢٨

(و)

الواقدي — ٥٦

الوليد بن عبد الملك — ٧ و ٩

(ي)

ياقوت الحموي — ٨

يزيد بن أبي سفيان — ٢

يحيى بن بكير البخاري — ٥٦

(ف)

فهرس الأماكن

(ب)

باب الزيادة — ٣٦

« سوق الغزل — ٤٢

« الشرايين — ٣٥

« الكحل — ١٠

« الاكفانيين — ٤٦ — ٥١ و ٩١

البصرة — ١

بصرى — ٢

بيت المقدس — ٢٧

« المال — ٢١

بين القصرين — ٢٩

(ج)

جامع أبو الغضنفر — ٩٨

الجامع الأزهر — ٨٦ — ٩٣

جامع اشبيلية — ٢٨

الجامع الطولونى — ١٧ و ٨٦ و ٩٧

جامع الظاهر — بيبس — ٦٢

الجامع الأموى — ٧ و ١٤ و ٢٥

- جامع أولاد عنان - ٤
 » الجيوشي - ٩٨
 » الصالح طلائع - ٩٢ و ٩٣
 » العسكر - ٨
 » عمرو - ٧ و ٨ و ٢٢ و ٢٦ و ٢٨ و ٦٢ و ٨٥ و ٩٢ و ٩٧
 » الكوفة - ١٤
 » سراكش - ٢٨
 » (الناصر) محمد بن قلاون بالقلعة - ٦١ و ٦٢

(ح)

- الحرم النبوي - ٧
 حصن بابليون - ٤
 » تراجان - ٤

(د)

- دار الآثار العربية - ٩٣
 دار الإمارة - ٩
 دار الزبير بن العوام - ٥ و ٩
 دار الشط - ١٩
 دار الضرب - ٦١
 دار عبد الله بن عمرو - ٧ و ٥٦
 دار عمرو الكبرى - ٤ و ٥ و ٧ و ٨ و ٥٥
 دمشق - ١٩ و ٢٨

ديوان استيفاء الأعباس - ٦٥

ديوان الأوقاف - ٥٥

(ر)

رحبة أبي أيوب - ١٠

رحبة الحارث - ١٧

(ز)

زاوية عمرو - ٥٨

زقاق الكحل - ١٠

(س)

سوق الغزل - ٥٥

سوق الأكنفانيين - ٥٥

سوق النحاسين - ٣٦ و ٩٣

(ش)

شارع السد - ٤

شارع ماري جرجس - ٤

الشام - ٢

شط العرب - ١

(ض)

ضريح عبد الله بن عمرو - ٥٥

(ط)

الطائف - ٥٥ و ٥٦

(ع)

العراق - ١

العسكر - ٩

عمان - ٢

(ف)

الفسطاط ١ و ٢٧ و ٢٨

(ق)

القادسية - ١

قريش - ٣

قصر الشمع - ٥

قنطرة الدكة - ٤

(ك)

كنيسة أبو سيفين - ٨٦ و ٩٢ و ٩٣

الكوفة - ١

(م)

المدينة - ٦١

المسجد العتيق - ٢٩

مصر - ١ و ٦ و ٨ و ٢٢

(ن)

النيل - ٤

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب توسع المسلمون في فتوحاتهم ، فملكوا العراق ، وهناك على شط العرب اختط الأمير عتبة ابن غزوان مدينة البصرة وجامعها ودار إمارة بجواره حوالي سنة ١٤ هـ (٦٣٥ م) فكانت أول مدينة أسسها المسلمون .

وبعد ذلك وعقب معركة القادسية الشهيرة أسس الأمير سعد ابن أبي وقاص مدينة الكوفة سنة ١٦ - ١٧ هـ (٦٣٧ - ٣٨ م) وأنشأ بها مسجدا جامعاً وداراً للإمارة أيضا .

فلما فتح الأمير عمرو بن العاص مصر اقتدى بالأميرين السابقين فاخطط الفسطاط وأنشأ بها سنة ٢١ هـ (٦٤١ - ٤٢ م) جامعاً المعروف الذي هو موضوع بحثنا في هذه الرسالة .

ويحسن بنا قبل الكلام على هذا الجامع أن نأتي على موجز بسيط لسيرة هذا الأمير العظيم والقائد القدير والسياسي المحنك فنقول :

هو عمرو بن العاص^(١) بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته (أبو عبد الله) وقيل (أبو محمد) أحد الصحابة أسلم سنة ثمان من الهجرة (٦٢٩ - ٣٠ م) قبل فتح مكة . وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية إلى عمان يدعو أخوال أبيه (أى أبي عمرو) إلى الإسلام ، وكان معه ثلثمائة رجل فتخوف عمرو وطلب مددا فأمده بمائتي فارس تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح الذي سلم القيادة لعمرو .

وفي السنة الثانية عشرة بعث أبو بكر عمرو بن العاص إلى الشام ففتح بصرى صلحا. ولما توفي أبو بكر ولي الخليفة عمر بن الخطاب عمرو قيادة الجيش عقب وفاة قائده يزيد بن أبي سفيان سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) وبعد فتح الشام سار إلى مصر ففتحها سنة ٢٠ - ٥ هـ (٦٤٠ - ٤١ م) وبقي واليا عليها حتى مات عمر بن الخطاب فأقره عثمان عليها أربع سنوات ثم عزله عنها . فلما قتل عثمان أعاده معاوية إلى إمارة مصر ثانيا ، ولم يزل بها أميرا إلى أن مات يوم عيد الفطر سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان جزء ٢ - ص - ٥٢٦ - ٣٧

وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية وكان من الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي .

ولما حضرته الوفاة رفع يديه وقال - "اللهم إنك أمرت فعصينا ونهيت فارتكبنا ، فلا برئ فاعتذر ولا قوى فانتصر ولكن لا إله إلا أنت" .

موقع الجامع

موقع الجامع ^(١) كان مجرى النيل وقت الفتح العربي لمصر واقعا شرقي مجراه الحالى، وكانت تمتد ضفته الشرقية حيث يمتد الآن شارع مار جرجس فشارع السد فقنطرة الدكة بفامع أولاد عنان فغربي المطرية على التقريب .

فلما شرع عمرو فى بناء مسجده اختار موقعه الحالى الذى كان ملكا لقيسبة بن كلثوم، وكان أول حرم أقام فيه المسلمون صلاة الجمعة والجماعة بأرض مصر وكان وقتئذ مشرفا على النيل إشراف حصن بابليون عليه . وحصن بابليون هذا أوحصن تراجان هو الذى

(١) استقيت البيانات الواردة فى هذه الرسالة من مصادر تاريخية متعددة ومن بحوث شخصية قمت بها منذ شهر مارس سنة ١٩٣٠ الى أكتوبر سنة ١٩٣٤

على أن بن دقاق أولا (جزء ٤ ص ٥٩ الى ٧٣) والمقرىزى ثانيا (جزء ٢ ص ٢٤٦ الى ٢٦٤) هما أهم وأغزر المصادر التاريخية التى تصدت لوصف حوادث الجامع .

لذلك رأينا أن نعلن أن تلك البيانات منقولة عنهما ، أما البيانات المستقاة من مصادر أخرى غيرهما فنسئير إليها فى مواضعها .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانا لانرى ضرورة للتسليم بصحة الروايات التاريخية الصادرة من أية ناحية كانت إلا بعد تحيحصها تحيصادقيا معقولا ، لأن هذه الروايات وقد نقل معظمها الخلف عن السلف قد تعرض للتحريف والتحوير .

نسميه اليوم قصر الشمع . وقد أثبتت المباحث التي قمت بها سنة ١٩٢٥ أن المسافة بين الجامع وبين النهاية البحرية للمصن كانت لا تتجاوز المائة متر .

بنى عمرو جامع بطول ٥٠ ذراعا وعرض ٣٠ ذراعا وفرش أرضه بالحصباء ، وسقفه بسقف من الجريد والطين حمل على ساريات من جذوع النخل دون أن يجعل له صحناً ولا أمامه رحبة يستنشق المصلون طلق هوائها ، كما لم يجعل له مثدنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً كالمنابر المعروفة لنا .

وقد اشترك في تحرير قبلته نحو ثمانين صحابياً ممن حضروا الفتح ، وقيل ثمانية فقط ، ومع ذلك جاءت تلك القبلة منحرفة نحو الشرق أكثر مما يجب . وفتح للجامع بابان في كل من جوانبه الثلاثة الشرق والبحرى والغربى . ثم بنى عمرو لنفسه داراً شرقى الجامع سميت (دار عمرو الكبرى) تجاورها من بحريها دار ثانية لابنه عبد الله سميت (دار عمرو الصغرى) ثم دار ثالثة بناها الزبير بن العوام . وأحيط الجامع من جهاته الأربع بطريق كان عرض جزئه الشرقى سبع أذرع كما هو واضح بالشكل رقم (١) لوحة (١) .

أعمال مسلمة بن مخلد - بقى الجامع على هذه الحال إلى أن قدم مسلمة بن مخلد واليا على مصر سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) من قبل

معاوية أول خلفاء بني أمية فوسّعه سنة ٥٣ هـ (٦٧٢-٧٣ م) من الجهة البحرية وجعل أمامه رحبة من هذه الناحية وبيّضه وزخرفه وفرش أرضه بالحصر لأول مرة بدلا من الحصباء . وهناك رواية أخرى ترجح الزيادة فيه من جهته الشرقية أيضا بأن أدخل فيه مسلمة جزءا من الطريق الفاصل بينه وبين دار عمرو بن العاص وبناء على هذه الرواية انتقل الجامع من شكله الأصلي المبين بالرسم رقم (١) إلى الشكل رقم (٢) .

على أن الأهم من هذا كله هو بناء صوامع أربع فوق أركانه الأربعة . ويقول السيوطي (حسن المحاضرة - ج ١ ص ٦٣) إن مسلمة نقش اسمه عليها وجعل الوصول إليها من مراق خارج الجامع ، وهذه الصوامع كانت في الواقع نواة للمآذن في مصر ترقّت وتطورت حتى بلغت الهيئة التي تُشاهد عليها الآن .

أعمال عبد العزيز بن مروان - احتفظ الجامع بالشكل الذي تركه عليه مسلمة إلى أن ولي مصر عبد العزيز بن مروان من قبل أخيه الخليفة عبد الملك فهدمه سنة ٧٩ هـ (٦٩٨ م) ووسّعه من الناحية الغربية ، كما أدخل فيه الرحبة التي أنشأها مسلمة في الجهة البحرية ، ولم يستطع الزيادة فيه من شرقيه لضيق الطريق ، فأصبح بالحالة التي يرى عليها الشكل الثالث . أما أبو عمر الكندي فقال إن

عبد العزيز زاد فيه من جوانبه كلها . وفي سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ -
٨ . م) أمر الوالى عبد العزيز بن عبد الملك بتعلية سقفه .

أعمال قُرّة بن شريك - وفي سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ - ٩ . م)
قدم مصر الأمير قُرّة بن شريك واليا عليها من قبل الخليفة الوليد
ابن عبد الملك فهدم الجامع فى أول سنة ٩٢ هـ (٧١٠ - ١١ م)
وبدأ فى إعادة بنائه فى شعبان من السنة المذكورة (مايو - يونيه
سنة ٧١١ م) وفرغ منه فى رمضان سنة ٩٣ هـ (يونيه سنة ٧١٢ م)
ووسّعه لأول مرة من الجهة القبلىة وللرة الثانية من الجهة الشرقىة
حيث أدخل فى مسطحه بقية الطريق وجزءا من دار عمرو ودار
ابنه عبد الله ، وبذلك صار تخطيط الجامع كما فى الرسم الرابع . وكما أدخل
مسلمة على الجامع أول نماذج الماذن المصرىة ، كذلك أحدث فيه
ابن شريك المحراب المجوف إقتداء بالمحراب الذى أحدثه بالحرم
النبوى الأمير عمر بن عبد العزيز سنة ٨٨ هـ (٧٠٦ - ٧ م)
ونصب فيه منبرا خشبىا جديدا سنة ٩٤ هـ (٧١٢ - ١٣ م)
وأحدث فيه المقصورة تقليدا لمقصورة معاوية بالجامع الأموى
بدمشق ؛ ثم صوب اتجاه القبلة الذى حرره الأمير عمرو وأصحابه .

وحينذاك صار للجامع أربعة أبواب في جداره الشرقى ومثلها في جداره الغربى وثلاثة في الجدار البحرى^(١) .

ولإعلاء شأن هذه البدعة الحديدية بمصر — بدعة المحراب المجوف — أمر قرة بتذهيب تيجان أعمدة أربعة من أعمدة الجامع أمام المحراب، اثنان منها في صف الأعمدة المقابل للمحراب واثنان آخران في الصف الذى يليه .

وهذا الخبر له قيمته التاريخية والفنية ، فمنه :

١ — علمنا لأول مرة أن الأعمدة الرخامية استعملت فى الجامع .

٢ — وأن هذا التذهيب كان أول نوع من الزخرف الثمين الذى عمل بالجامع ، بعد ما كساه مسلمة بن مخلد بالبياض لأول مرة .

أما علة هذا التذهيب فيمكن استنتاجها مما ذكره ياقوت الحموى عن أعمال قرة بن شريك فى جامع عمرو حيث قال^(٢) "ثم لما ولى

(١) ابن دقاق ج ٤ — ص — ٦٤

(٢) معجم البلدان ج ٦ — ص — ٣٨٢

مصر قرّة بن شريك العبسى فى سنة ٩٣ هـ (٧١١ - ١٢ م) هدمه بأمر الوليد بن عبد الملك فزاد فيه ونمقه وحسنه على عادة الوليد بن عبد الملك فى بناء الجوامع .

هذا وباتهاء عمارة ابن شريك انتهى توسيع الجامع نحو الجهتين القبلىة والشرقىة ، فلم نعد نسمع بعد ذلك عن عمل عمارى آخر تم أو أنشئ فى الجامع فى عهد الدولة الأموىة ، اللهم إلا الأمر الذى أصدره عبد الملك بن موسى بن نصير الوالى من قبل مروان ابن محمد سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ - ٥٠ م) بتعميم استعمال المنابر فى القرى إلى جانب القبلة بدلا من الخطابة على العصى .

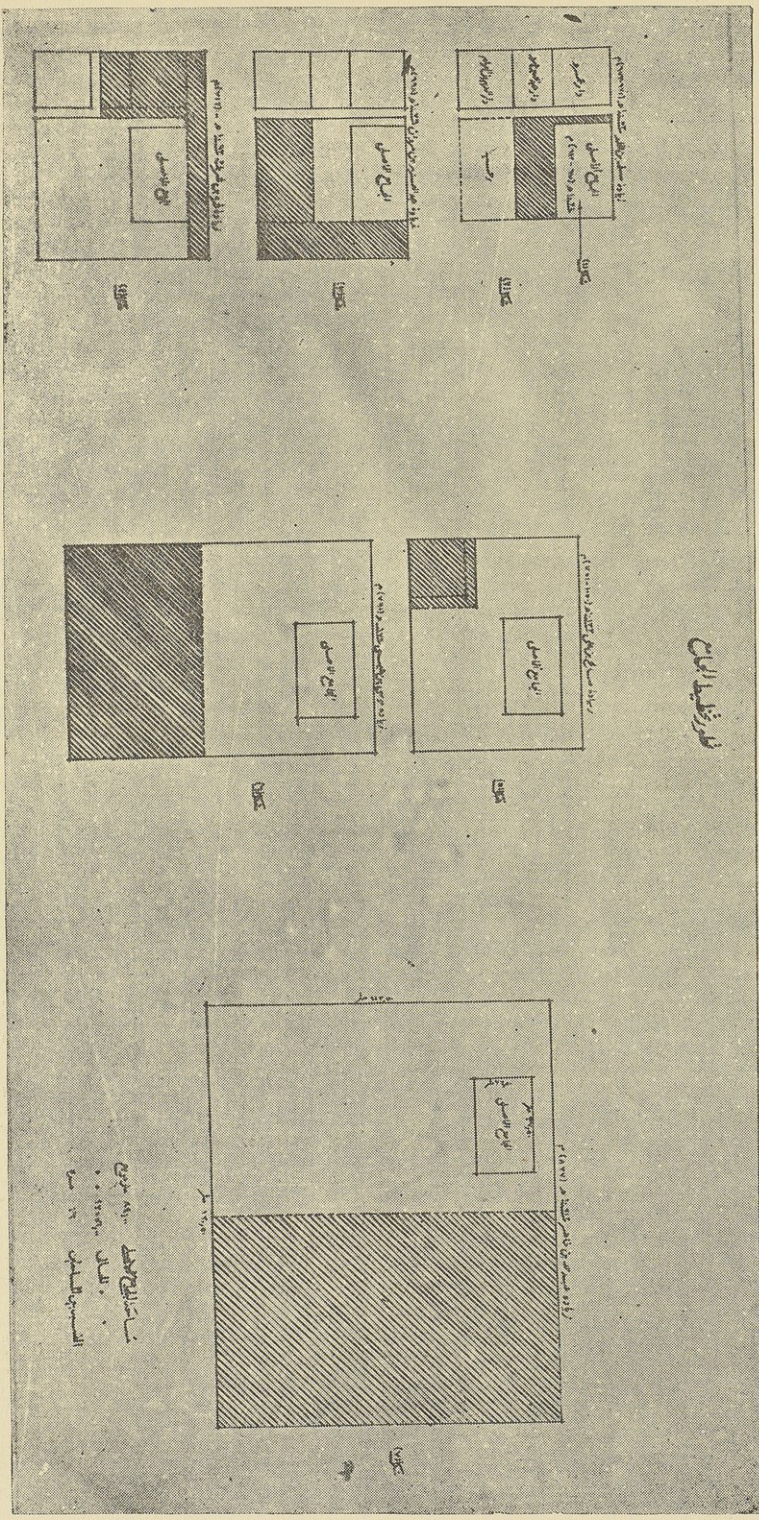
اعمال صالح بن على - شاخت الدولة الأموىة وخلفتها الدولة العباسىة فقدم صالح بن على مصر واليا عليها وأسس (العسكر) وجامعها ودار إمارة ثانية بدلا من دار الإمارة الأموىة التى كانت بالقسطنطين . ثم زاد فى جامع عمرو سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ - ٥١ م) أربعة أساطين . وهذه الزيادة وإن كانت صغيرة إلا أنها كانت لازمة حيث ازلت التتوء الذى نتج عن إدخال دارى عمرو وابنه فى الجامع مع ترك دار الزبير بن العوام المحازية لهما ، فتحول تخطيط الجامع من الشكل الرابع إلى الصورة التى ترى فى الشكل الخامس . كذلك عمر هذا الأمير جزءا من مؤخر الجامع . وقد ساعدت هذه الزيادة على

فتح باب جديد بالجدار الشرقى سمي باب الكحل لمقابلته لزقاق الكحل وهو الباب الأخير البحرى من الجهة الشرقية ، فصار عدد أبوابه خمسة. كذلك عمر مقدم الجامع عند الباب الأول (القبلى) .

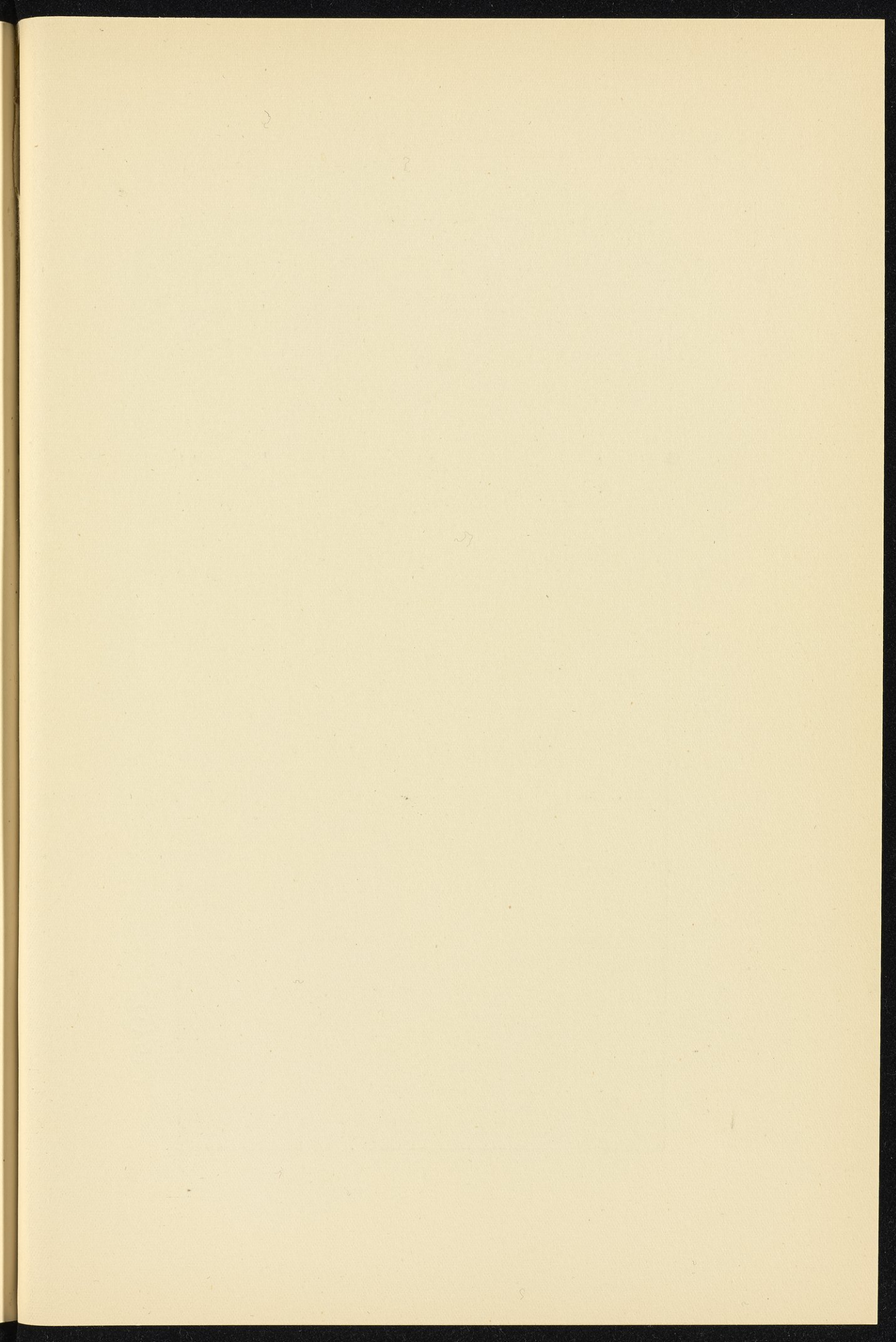
زيادة موسى بن عيسى - وفي سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) زاد فيه موسى بن عيسى أمير مصر من قبل الخليفة هرون الرشيد من الناحية البحرية حيث أدخل فيه نصف رحبة أبى أيوب (شكل ٦) .

زيادة عبد الله بن طاهر - وفي سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل الخليفة المأمون بتوسيع الجامع فأضيف إلى أرضه مثلها من الجهة الغربية ونتج عن ذلك التوسع أخذ النصف الغربى الباقى من رحبة أبى أيوب . ويمكن تصور زيادة ابن طاهر برسم خط مار بمركز دوران المحراب الكبير الحالى وبمنتصف فتحة الباب الأوسط المقابل له بالوجهة البحرية ، فهذا الخط يقسم الجامع الى قسمين الشرقى منهما يعادل بالتقريب مسطح الجامع إلى عهد موسى بن عيسى والغربى هو زيادة ابن طاهر التى كانت خاتمة الزيادات بحيث نرجح أن مساحة أرض الجامع لم تتغير من وقتها إلى الآن (شكل ٧) .

دراسة الخطة



تطورات تخطيط الجامع



وهنا يقول المقرئى وابن دقماق إن قياس الجامع — عدا الزيادتين — بلغ حينذاك ١٩٠ ذراعا طولاً فى ١٥٠ عرضاً، إلا أن مناقشة هذين الرقمين وغيرهما من الأرقام الأخرى التى لها علاقة بمسطح الجامع والتى ذكرها هذان المؤرخان أقنعتنا بأن طول الجامع يبلغ ١٦٠ ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا، وسنعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

ونظراً إلى أن عبد الله بن طاهر بدأ فى عمل الزيادة فى جمادى الأخرى سنة ٢١٢ هـ (أغسطس سنة ٨٢٧ م) ثم عاد إلى بغداد فى أواخر رجب من السنة المذكورة ، فإنه عهد إلى عيسى بن يزيد الجلودى فى إتمامها ، على أننا سوف نرى فى حوادث سنة ٢٣٧ هـ (٨٥١ - ٥٢ م) أن الجلودى لم يقم بما كلف به على الوجه الكامل ونظرة إلى جميع التطورات التى اجتازها الجامع منذ إنشائه إلى الآن تدلنا على أن زيادة ابن طاهر هذه هى أخطر عمل أجرى بالجامع من الناحيتين الأثرية والعمارية، وأن أثرها أعمق جداً مما يبدو لأول وهلة ، لأن تكبير الجامع إلى ضعف ما كان عليه يضطرنا قبل كل شىء إلى التفكير .

- أولاً — فى كيفية تخطيط الجامع قبل زيادة ابن طاهر .
- ثانياً — فى تخطيط الجامع بعد الزيادة .
- ثالثاً — فى تأثير الزيادة على البناء الأصيل .
- رابعاً — فى إمكان وجود بقايا بالجامع من عهد ابن طاهر .

تخطيط الجامع قبل الزيادة - إذا كان الخط (١ >) من الرسم رقم (٧) هو المنصف لأرض الجامع بعد زيادة ابن طاهر، فإن الجزء الكائن على يسار هذا الخط يمثل الجامع الأصلي قبلها . ومن أعمال قرة بن شريك عرفنا أن سقف الجامع كان محمولا على أعمدة قائمة على هيئة صفوف ، لكننا لاندرى أكانت هذه الصفوف ممتدة بموازاة جدار المحراب أم أكانت عمودية عليه ، كذلك لا نعلم أكان الجامع مسقوفا بأكله أم كان المسقوف جزئه المقدم فقط بجامع الكوفة قبل تجديده بمعرفة زياد ابن أبيه سنة ٥٠ هـ (٦٣٠ م) وهل كان له صحن تحيط به الإيوانات الأربعة كالجامع سالف الذكر عقب تجديده وكالجامع الأموي حوالى سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإنه يلوح لنا أن عمارة ابن طاهر لم تقتصر على إضافة النصف الأيمن من الرسم رقم (٦) بل تعدته إلى حد ما إلى النصف الأيسر . ويزداد هذا التعدى خطرا إذا كان للجامع صحن .

تخطيط الجامع بعد الزيادة - سوف نرى فيما بعد (صحيفة - ٢٠) أنه لغاية سنة ٤٠٦ هـ (١١٠٦ م) كان للجامع ٢٢ رواقا أضاف إليها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي رواقين فبلغت ٢٤ رواقا، وهو

نفس العدد الذى عثرنا عليه من كشف الأساسات. أما الجدار (١ ج) الذى كان جنبا غربيا للجامع قبل زيادة ابن طاهر فلم تقف لأساسه على أثر مطلقا. وحيث إننا لم نجد بقايا أساسات أخرى غير أساسات الأربعة والعشرين رواقا فلهذا نظن أن (٢٢) منها ترجع إلى عهد ابن طاهر، وأن الجامع احتفظ بخطيطه منذ ذلك العهد إلى ما قبل عمارة مراد بك مباشرة (سنة ١٢١٢ هـ) (١٧٩٧ م). أما الرواقان اللذان أضافهما الخليفة الحاكم بأمر الله فقد أحدثا تغييرا فى مسطح الصحن وحده، فصغر مسطحة عما كان عليه قبل زمن الحاكم.

تأثير الزيادة على البناء الأصيل - سواء أكان الجامع (قبل زيادة ابن طاهر) مسقوفا كله أو بعضه أم لم يكن كذلك، وسواء أكان له صحن أم لم يكن، فإنه يلوح لنا أن عمارة ابن طاهر لم تقتصر على مضاعفة مساحته، بل تعدته إلى الجزء القديم وذلك بهدم الجدار الفاصل بينه وبين الجزء الجديد وزيادة عدد الأعمدة واتصال عقود بأخرى. وقد يتسع العمل أكثر من هذا إذا كان للجامع القديم صحن لأن الحالة الجديدة تستدعى تخطيط صحن جديد وتعديل تخطيط وبناء الأروقة المحيطة بالصحن القديم.

إمكان وجود بقايا بالجامع من عهد ابن طاهر - من كل ماتقدم
نستنتج :

١ - أن ابن طاهر لم يباشر إتمام زيادة الجامع ، بل الذى أتمها
هو عيسى الجلودى .

٢ - أن عيسى الجلودى هذا لم ينفذ أمر ابن طاهر بكمله ، بدليل
أنه ترك أرض الزيادة بدون تبليط فبقيت كذلك نحو ١٢٥ سنة إلى
أن جاء الحارث فبلطها وأصلح سقفها .

٣ - أن النصف الأيمن (الغربى) أحدث عهداً من النصف
الأيسر (الشرقى) بما لا يقل عن ٣٧ سنة ، وهى المدة المحصورة بين
زيادتى موسى بن عيسى وعبد الله بن طاهر .

٤ - أنه إذا فرض أن بالجامع الآن بقايا أبنية من عهد ابن طاهر
فالمعقول أنها توجد بمجران النصف الغربى بالجامع أكثر منها بالنصف
الشرقى . وبالعكس تكون الفتحات الموجودة بمجران النصف الشرقى -
وهى الأبواب والشبابيك - أقدم عهداً من نظائرها بالجزء الغربى .
لكننا سوف نرى أن معظم زيادة ابن طاهر قد احترق ، فلهذا يصعب
القول بوجود أبنية باقية من ذلك العهد .

بقيت زيادتان خارج الجامع من نوع زيادات الجامع الطولوني
 الثلاث؛ أولاهما بحرية والثانية غربية. وتنقسم الزيادة البحرية إلى ثلاثة
 أقسام: الأول وهو الشرقي كان مخصصا لجلوس قاضي القضاة به
 يومين في الأسبوع، والأوسط يجلس فيه قاضي الحكم المالكي
 في حين يجلس قاضي مجلس الحكم الشافعي تجاهه بالقسم الغربي.
 وإلى الآن لم يعرف بالتحقيق صاحب هذه الزيادة ولا تاريخ إلحاقها
 بالجامع (راجع الصفحة - ١٠ - زيادة أبي أيوب).

أما الزيادة الغربية فإن جزءها القبلي يُعرف بزيادة الخازن الذي
 ألحقها بالجامع سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٧ م) وباقيها يعرف برحبة
 الحارث الذي ألحقها به سنة ٢٣٩ هـ (٨٥١ - ٥٢ م) والذي
 بَلَطَ زيادة ابن طاهر وأصلح السقف.

وإلى هنا ينتهي عصر التوسع والزيادة.

٢

الإصلاح والتجميل

عمارة نُحْمَارَوِيَّةِ بن أحمد بن طولون - كان قد وقع حريق في الجامع في صفر سنة ٢٧٥هـ (٨٨٨م) إلتهم أكثر زيادة عبدالله بن طاهر فأمر نحمارويه بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيني فتمت هذه العمارة في السنة ذاتها. ومن جملة تزويق أكثر عمد الجامع، وبلغت تكاليف هذا الإصلاح ٦٤٠٠ دينار أونحو ٣٨٤٠ جنيهاً.

وفي سنة ٣٣٦هـ (٩٤٧-٩٤٨م) أنشأ أبو حفص عمر القاضي العباسي غرفة للؤذنين بالسطح. وقبل سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥-٩٨٦م) زار مصر أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وعابن جامع عمرو ووصفه بما يأتي :

«هذا الجامع يسمى السفلائي (تميزا له عن جامع ابن طولون الذي)
 «بني على الكباش) من عمل عمرو بن العاص وفيه منبر حسن البناء»
 «وفي حيطانه شيء من الفسيفساء على أعمدة رخام أكبر من جامع»

« دمشق والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستة ، قد التفت عليه »
 « الأسواق ، إلا أن بينه وبينها دار الشط وخزائن وميضأة (صحيفة ١٩٩) »
 ومن هذا الوصف عرفنا أن دورة مياه الجامع كانت قبله أى خلف
 حائط المحراب .

*
 * *

وفي سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) كانت أولى عمارات الدولة الفاطمية
 بالجامع ، حيث أمر الخليفة العزيز بالله وزيره أبا الفرج يعقوب بن
 كلس بعمل الفوارة التي تحت قبة بيت المال والسقائف الخشبية
 المحيطة بها فعملت على يد المعروف "بالمقدسى الأطروشى" كما عمل
 منبر جديد مذهب .

وفي سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أمر الحاكم بأمر الله وزيره "برجوان"
 صاحب الحارة المعروفة باسمه إلى الآن بحى الجمالية بإصلاح الجامع
 فجدد بياضه وخلع كثيرا من فسيفساء الجدران وبيض موضعها .
 ونقشت خمسة ألواح وذُهبَت ثم نُصبت على أبوابه الخمسة الشرقية وعليها
 اسم برجوان ، فلها قتل خلعت هذه الألواح .

وفي رمضان سنة ٤٠٣ هـ (مارس سنة ١٠١٣ م) أمر هذا
 الخليفة بإتزال ١٢٩٨ مصحفا من القصر الكبير (الشرقى) إلى
 الجامع ليتمكن الجمهور من القراءة فيها ، وكان بعض هذه المصاحف

مُذهبا ، كذلك أخرج في ذلك الشهر تنورا فضيا برسم الجامع به ما قيمته مائة الف درهم من فضة، وكان من الكبر بحيث لم يتيسر إدخاله من باب الجامع إلا بعد هدم مصاطبه وحفر دروب وهدم عتبي باب الجامع . كما أمر في شعبان سنة ٤٠٦ هـ (يناير سنة ١٠١٦ م) بإضافة رواقين يقنطعان من صحن الجامع ، وكان هذان الرواقان موجودين فعلا إلا أن الأعمدة والكمرات الحاملة لسقفيهما كانت من خشب نصبها أبو أيوب أحمد ابن شجاع في عهد أحمد بن طولون سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ - ٧١ م) فأمر الحاكم بأمر الله بتزعمها والاستعاضة عنها بعمد من رخام . وقد ذكر ابن دقاق أن هذين الرواقين كانا بصحن الجامع وأنه بإضافتهما كملت عدة الأروقة الموجودة الآن بالجامع ، وهي سبعة في مقدمه ، وسبعة في مؤخره ، وخمسة في شرقيه ، وخمسة في غربيه .

أما أن هذين الرواقين أضيفا إلى الإيوانين القبلي والبحري فصار لكل منهما سبعة أروقة بدلا من ستة ، أو أنهما أضيفا إلى الإيوانين الشرقي والغربي فصار لكل منهما خمسة أروقة بدلا من أربعة، فهذا أمر لا يمكننا البت فيه .

وقد دلت الحفريات التي أجريناها على صحة هذا العدد الذي نستنتج منه أن إضافة الرواقين المذكورين سنة ٤٠٦ هـ (١١٠٦ م)

غيرت التخطيط الداخلى للجامع عما كان عليه فى سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أى عند ماضاعف مساحته عبد الله بن طاهر .

وفى سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) أمر الخليفة المستنصر بعمل منطقة من فضة فى صدر المحراب الكبير، وجعل لعمودى المحراب أطواقا من فضة كذلك .

وفى سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٩ م) أمر هذا الخليفة بتذهيب بقية الجدار القبلى . وبعد ذلك بعام واحد عملت للإمام مقصورة من خشب ، ومحراب من ساج بعمودين من الصندل .

وفى شعبان سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) عمر القاضى أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبى زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وجعل بعدها ممرقا ينزل منه إلى بيت المال ، كما جعل للسطح مطلعا من الخزانة المستجدة فى ظهر المحراب . والراجح أن بابها هو الذى كشفناه أخيرا على يمين المحراب الأوسط، وهذا مما يجعل بيت المال قريبا من هذا المحراب .
يؤيد ذلك ما كتبه ابن رسته (١) تحت عنوان "صفة مصر"
حيث قال :

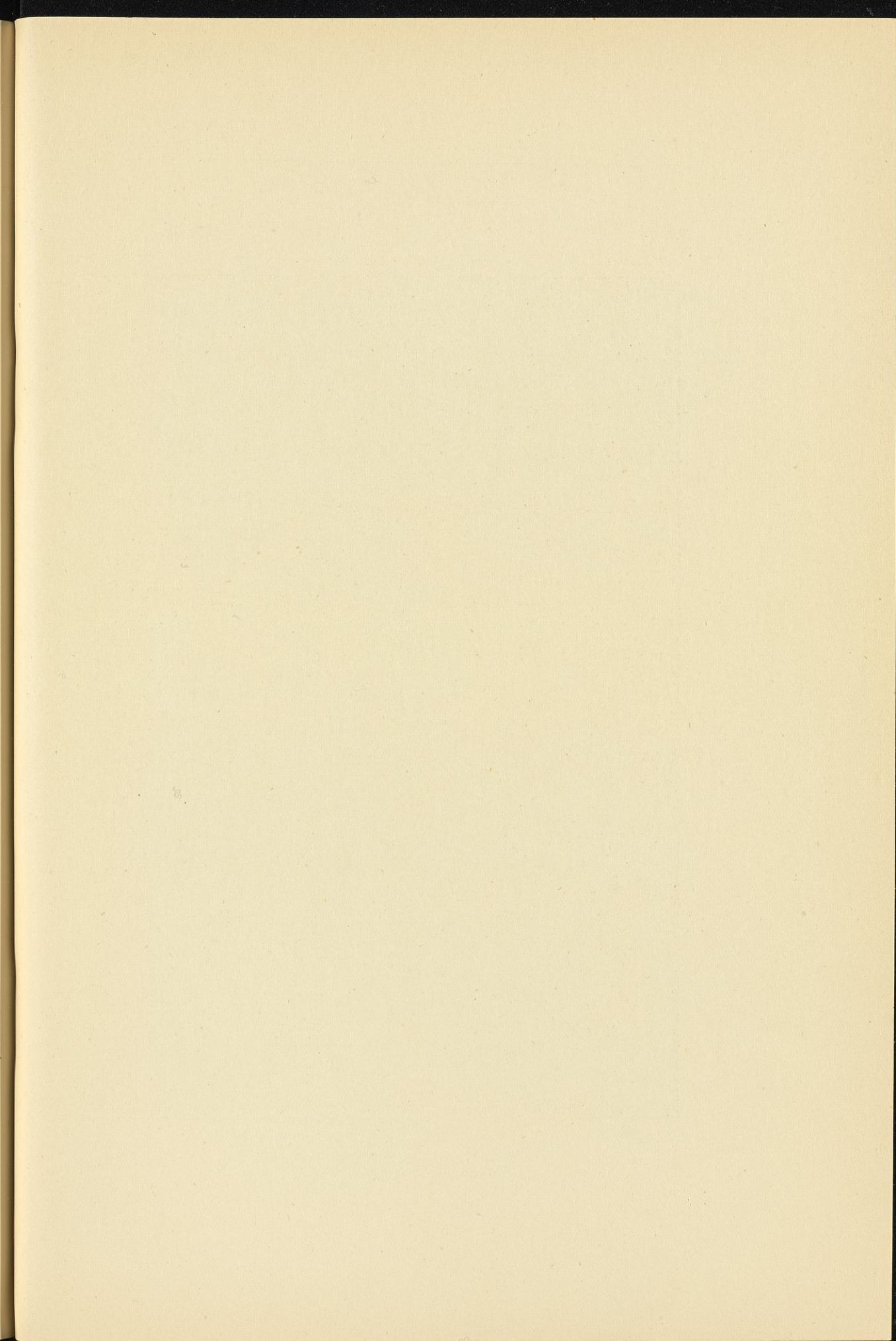
(١) ص ١١٦ — الأعلام النفيسة لابن رسته .

”وإن بيت مال مصر في المسجد الجامع قدام المنبر، وهو منفصل“
 ”من سطوح المسجد، لا يتصل بشيء منها، وهذا مرفوع بأساطين من“
 ”حجارة وهو (بيت المال) شبه قبة مرتفعة يجلس الناس تحت“
 ”البيت ويمرون تحته . وهناك قنطرة من خشب إذا أرادوا“
 ”دخول هذا البيت جروا تلك القناطر بالحبال حتى يستقر طرفها“
 ”على سطح المسجد، وإذا خرجوا ردوا القنطرة وعليها باب حديد“
 ”بأقفال، وإذا صلوا العشاء الآخرة أخرج الناس كلهم من المسجد ولم“
 ”يرك به أحد، ثم تغلق أبواب الجامع وهذا لحال بيت المال“

وقد ذكرنا من قبل أن الوزير بن كاس عمّل فوارة تحت قبة بيت المال، فمن هذا ومن كلام ابن رسته يتضح أن أولى فوارات الجامع كانت بالإيوان القبلي (الشرق القبلي) أولا - ثم نقلت إلى الإيوان البحري في الموضع المبين على المسقط الأفقي لوحدة رقم (٢). وهي الآن في وسط الصحن. على أن فوارة ابن كاس ليست هي الأولى، فقد ذكر ابن دقاق أن قرّة بن شريك بنى بيت المال الذي في علو الفوارة كما ذكر أيضا أن بيت المال هذا بناه أسامة بن زيد المتوفى سنة ٥٩٩هـ (٧١٧ - ١٨ م) وهو متولى الخراج بمصر من قبل سليمان بن عبد الملك الأموي .



بيت المال بالجامع الأموي بدمشق



والصورة الفتوغرافية المأخوذة عن بيت المال بالجامع الأموي
تقرب إلى الذهن شكل بيت المال بجامع عمرو .

هذا، وقد ذكر ابن دقاق عند كلامه عن مصاحف الجامع
(ص - ٩٣) أن أبا بكر محمد بن الحسن السوسى لما تولى
الصلاة والقصص في العشرين من شعبان سنة ٤٠٣ هـ (مارس
١٠١٣ م) نصب المصحف في مؤخر الجامع (الإيوان البحرى)
حيال الفوارة وقرأ فيه وقت أن نكس الجامع . فمن هذا يستنتج أن
الفوارة التى كشفناها وجدت بالجامع قبل سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م)
وأنه حصل تنكيس بالجامع حوالى هذا التاريخ لم يُشر إليه ابن دقاق .
نعود إلى الفوارة الموجودة الآن بوسط الصحن فنراها بسيطة
الشكل وليس لها أهمية لا عمارية ولا أثرية وربما كانت من عمل
مراد بك محمد .

وفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بنيت المئذنة التى بين مئذنة عرفة
وبين المئذنة الكبيرة التى حلت محلها الآن القبة القائمة فوق ما يسمى
ضريح عبدالله بن عمرو . وقد هدمت هذه المئذنة فى وقت غير معلوم
فلم يذكرها ابن دقاق عند الكلام على مآذن الجامع . أما مئذنة عرفة

(١) هذا ما قاله ابن دقاق - أما ما قاله المقرئى فهو أنها بنيت سنة ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م)

فكانت قائمة على الطرف الغربي لجدار المحراب، ويحتمل أن يكون مراد بك هو الذى جددها .

ويقول ابن ميسر (ص ٦٠ - ٦١) إن الأفضل شاهنشاه هو الذى بنى المئذنة الكبيرة والمئذنة السعيدية سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) وقد حدّد ابن دقاق موضع هذه المئذنة الأخيرة فإذا هو بوسط الواجهة البحرية، إما فى الموقع الذى تشغله حتى الآن المنارة القائمة فوق الباب الغربى للجامع والتي يظن أنها من عمل مراد بك أيضا وإما فوق الباب الثانى الأوسط بالواجهة المذكورة . وقد ذكر القلقشندى^(١) وغيره أنه كان للجامع خمس مآذن، اثنتان منها فوق الجدار القبلى وهما "عرفة" و "الكبيرة" وثلاث على الواجهة البحرية وهى "الجديدة" و "السعيدية" و "المستجدة". أما الأولى من هذه الثلاث الأخيرة فقائمة فوق الطرف الشرقى للواجهة البحرية ، وأما الثالثة فقائمة فوق طرفها الغربى . ومن تسميتها يجوز لنا أن نستنتج :

١ - أن هاتين المئذنتين بنيتا بعد المئذنتين الكبيرة والسعيدية .

٢ - أن المئذنة المستجدة بنيت بعد المئذنة الجديدة .

(١) صبح الأعشى جزء ٣ ص ٤٤٢ - ٤٣

بقيت مئذنة عرفة ونحن وإن كما لا نعرف تاريخ بنائها إلا أن ابن
شاكر الكتبي^(١) عرفنا أن سليم المصري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ
(١٣٠٧ م) اعتكف بمئذنة عرفات بمصر ثلاثة أيام؛ وهذا القول
يجيز لنا أن نستنتج أنها بنيت قبل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر
الميلادي) .

هذا ، وسنرى من الحوادث الآتية ما يساعدنا على الحكم بأن نهاية
الدولة الفاطمية كانت نهاية مجد الجامع وازدهاره .

٣

الصيانة والترميم والاضمحلال

وفي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ٦٩ م) غزا مصر "أمورى"
ملك بيت المقدس وعسكر جنوب القسطنطينية "شاور" وزير
العاقد أن يحتلها الصليبيون فحرقها واستمرت النار مشتعلة فيها ٥٤
يوماً فتخربت مبانيها واتهبت وتسعت جامع عمرو .

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥٤

فلما تولى السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ملك مصر سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ - ٧٣ م) جدد صدر الجامع والحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجدد بياض الجامع وأزال شعثه وجلا عمدته وأصاح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام، وعمّر المنظرة التي تحت المئذنة الكبيرة . وفي مقابل ذلك انتزع منه ومن جوامع القاهرة جميع المناطق الفضية التي كانت بحاربيها وعمدها^(١).

هذا، وقد وصف علي بن موسى بن سعيد المغربي المتوفى بدمشق سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ - م) هذا الجامع عند زيارته لمصر في زمن يرجح أنه كان زمن حكم الصالح نجم الدين أيوب . وهذا الوصف ورد بالمقرئزي (جزء ١ - ص ٣٤١) عند الكلام على مدينة فسطاط مصر كما يأتي (قال ابن سعيد: ولما استقررت بالقاهرة تشوقت إلى الفسطاط ... إلى أن قال .. ثم انتهيت إلى المسجد الجامع فعايّنت من ضيق الأسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراکش، ثم دخلت إليه فعايّنت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره، التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق ، والبياعون يبيعون فيه أصناف

(١) المقرئزي ج ٢ ص ٢٧٥

المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك، والناس يأكلون منه في أمكنة
 عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك، وعدة صبيان بأواني
 ماء يطوفون على كل من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا،
 وفضلات ما كلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه، والعنكبوت
 قد عظم نسجه في السقوف والأركان والحيطان والصبيان يلعبون في صحنه،
 وحيطانه مكتوب عليها بالفحم والحمره بخطوط قبيحة مختلفة من كتب
 فقراء العامة ... الخ .

وسرى فيما بعد أن ابن سعيد هذا قد تجاوز الحد في النقد وغالى
 في تحقير هذا الجامع تغاليه في تحقير القاهرة عند كلامه على ساحة بين
 القصرين . مما حمل المقرئ على نقده .

والظاهر أن عمارة صلاح الدين يوسف كانت آثارها باقية إلى حوالى
 منتصف القرن الثامن الهجرى، فقد ورد في رحلة (البلوى^(١)) لخالد
 ابن عيسى بن أحمد بن إبراهيم المغربى التى بدأها سنة ٧٣٦ هـ
 (١٣٣٥ م - ٣٦) وأتمها سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ٤٠ م) . أنه
 زار مصر ووصف جامع عمرو بقوله :

” كنت أتردد بها إلى المسجد العتيق الحافل الذى بناه عمرو بن ”

” العاص رضى الله عنه وإليه ينسب اليوم ، فأرى جامعا منيرا ومسجدا ”

(١) تاج المفرق فى تحلية علها المشرق (مخطوط) .

”كبيره صحن فسيح وأسوار حافلة، ومقاصير من العود عجيبة، وتواريخ“

”مكتوبة بالخط الحافل المذهب كثيره، فمنها ما كان مكتوبا على“

المحراب ونصه :

” (بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله “

”واليوم الآخر) النصر والفتح المين لسيدنا ومولانا الإمام المستضي“

” بنور الله أبي محمد الحسن أمير المؤمنين. أمر بتجديده الملك الزاهر“

” الناصر المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف وفقه الله “

” تعالى لطاعته في سنة ثمان وخمسمائة “. ١٠ هـ .

والظاهر أن خطأ حدث في التاريخ أدى إلى حذف ٦٠ سنة

منه فصار ٥٠٨ بدلا من ٥٦٨ هـ وهي تاريخ العمارة التي أجزاها

صلاح الدين بالجامع، وهذا ينقض تماما أقوال ابن سعيد السابقة

الذكر، ويثبت تحامله وتعصبه .

وقد كانت عمارة صلاح الدين هذه هي الأولى والأخيرة في عهد الدولة

الأيوبية التي خلفتها دولة المماليك البحرية، وكان السلطان ”بيبرس

البندقدارى“ أو ”بيبرس الأول“ أول من فكر من سلاطينها في إصلاح

الجامع، فقد عاينه قاضى القضاة تاج الدين بنفسه فوجد مؤخره قد مال

الى الخارج، أى الى ناحية الزيادة البحرية كما وجد سورته البحرى قد

مال أيضا. كذلك كشف عن السطح، وهدم جميع الغرف المستحدثة به، ولم يترك سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث غرف لرؤسائهم، وأبطل جريان الماء إلى فوارة الفسقية بعد ما تحقق من إضرارها بجدران الجامع. ثم سند جدار الجامع البحري بدعائم بناها بجانب الزيادة البحرية، وزاد في عمده هذه الزيادة بما قوى به الدعائم زيادة على سد شباكين بالجدار البحري المذكور، ويحتمل أن يكون هذان الشباكان هما الموجودان الآن بطرفي الجدار المذكور.

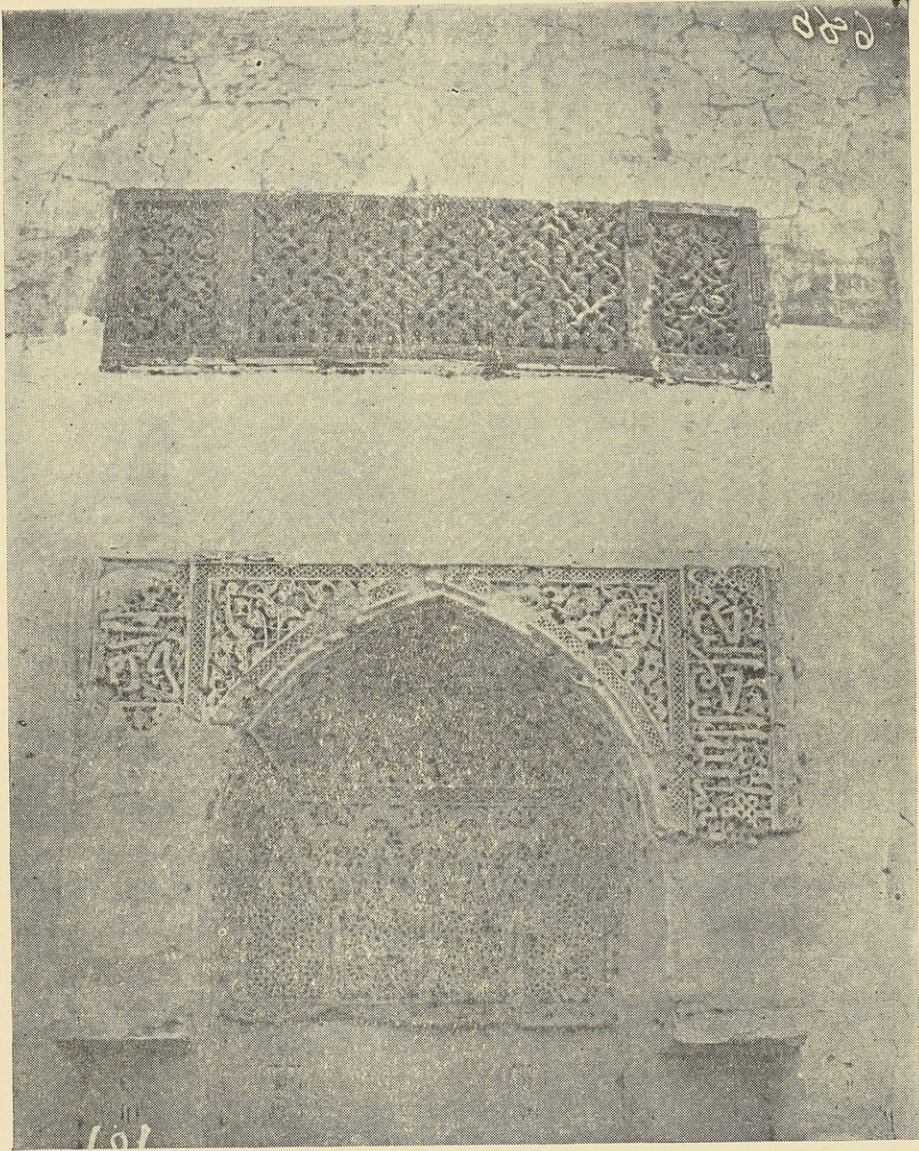
عمارة الظاهر بيبرس - ومع كل ذلك فقد رأى قاضي القضاة هذا أن (القواصر) العشر المطلة من الأيوان القبلى على الصحن والتي بها اللوح الأخضر في حالة الخطر، فحسن للسلطان "الظاهر بيبرس" تجديدها فرسم بذلك حيث هُدمت (القواصر) والأعمدة الحاملة لها، ثم أعيدت مجددة كما كانت، وزيد في العمدة اربعة وقرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الأخضر والصف الثاني منه. كذلك جدد اللوح الأخضر وزهّبه وكتب عليه اسم السلطان "الظاهر بيبرس" وجُليت العمدة كلها وجدد بياض الجامع وذلك في رجب سنة ٦٦٦هـ (مارس سنة ١٢٦٨ م) ولم تعطل الصلاة في الجامع طول مدة العمارة.

عمارة السلطان المنصور قلاون - وفي سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) شكى قاضي القضاة "تاج الدين القاسم" للسلطان "قلاون" من سوء حال الجامع فأمر السلطان الأمير عز الدين الأفرم بعمارتها ، فقام هذا باصلاحات بسيطة. وفضلا عن أنها لا تستحق الذكراً فأنها شوهت منظر أعمدة الجامع خلافاً لما كان يقصده السلطان من إصلاحه إصلاً تاماً.

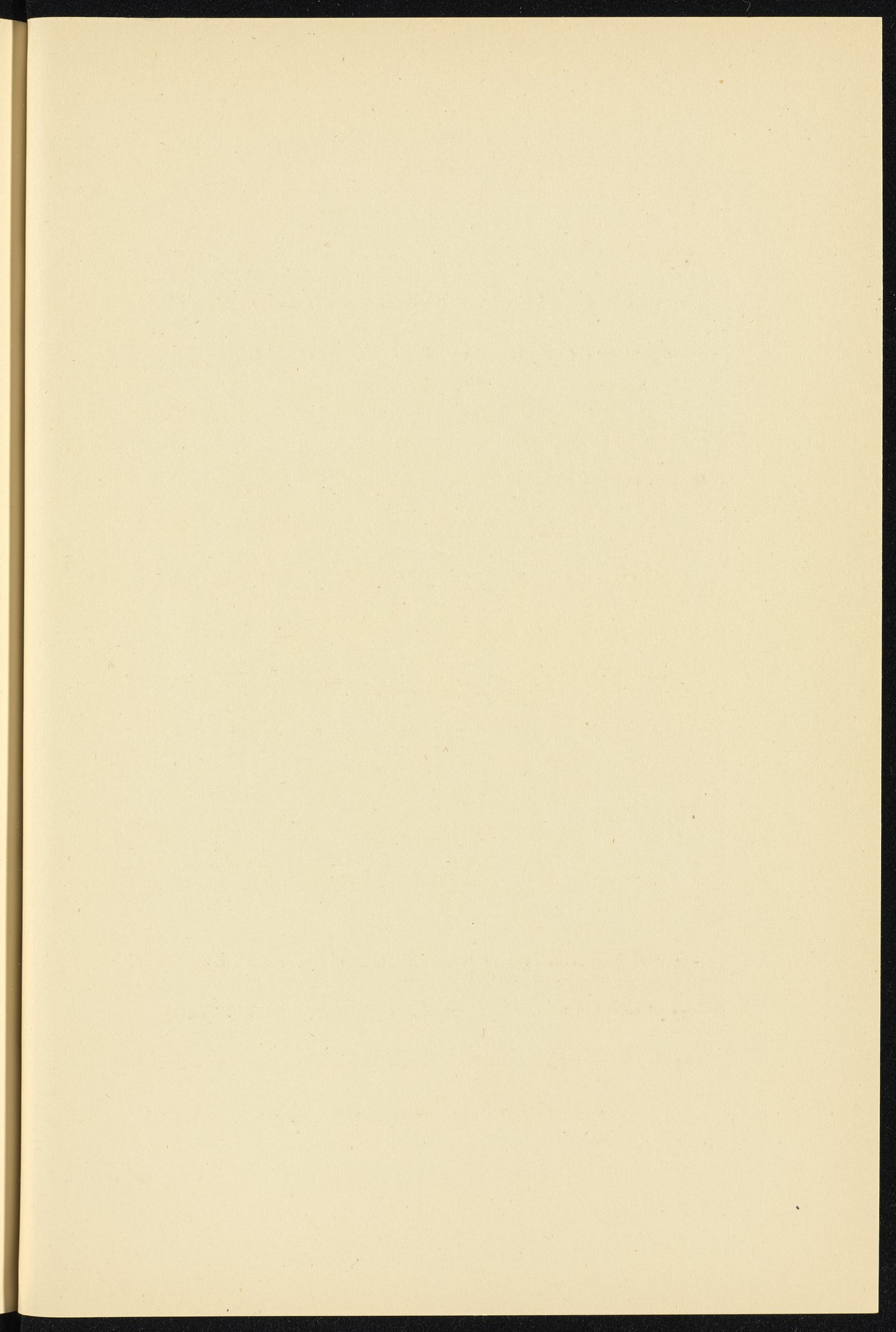
عمارة سلار - ولما حدث الزلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) وعم ضرره أنحاء مصر تشعث الجامع وانفصلت أعمدته بعضها عن بعض ، فعهد الملك "الناصر محمد بن قلاون" إلى الأمير "سلار" نائب السلطنة في تعمیر الجامع تعمیرًا شاملاً . فاعتمد هذا الأمير على كاتبه القاضي "بدر الدين بن خطاب" فهدم الجدار البحري المحصورين مؤخر الجامع وبين الزيادة البحرية ، وهو من سلم سطح الجامع إلى باب الزيادة البحرية الشرقية ، وأعاد السور إلى ما كان عليه وعمل بابين جديدين للزيادة الغربية ، واطاف إلى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذي هدمه عمود آخر مجاور للعمود الأول^(١) وجلا العمود جميعها وبيض الجامع كله وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين وبلط أرض الجزء الذي سقفه . وبسبب هذه العمارة هدم بظاهر مصر والقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها بحجة ترميم صحن الجامع

(١) لم يبق من الأعمدة المضافة سوى عمود واحد هو المعروف الآن (بعمود كشف الخطايا).

الصورة رقم ٢



محراب جصى بالوجهة البحرية (قديمًا) من الخارج



ونزع من أرضية أكثر ما كان بها من الألواح الرخامية الطويلة بهذه
الجهة أيضا، ورصها جميعها عند باب الجامع المعروف باباب الشرايين،
ومن هناك نقلت إلى حيث لا يعلم مقرها دون أن يوضع منها شيء
في الجامع .

أما من الناحية الأثرية ، فالذي يهمننا من هذه العمارة إنما هو هدم
جزء الجدار البحري لمؤخر الجامع المحصور بين الباب الشرقي للزيادة
البحرية الشرقية شرقا وبين المئذنة المستجدة غربا، ثم إعادة بنائه ثانية .
وهذا هو الجزء المفتوح فيه الآن أبواب الجامع الثلاثة، وبه من الخارج
محراب محلي بنقوش جصية بدیعة يغلب على ظني أنه كان محراب
مجلس الحكم المالكي . وبناء على ذلك يمكننا القول بثقة وأطمئنان،
أن هذا المحراب، وبعض الشبايبك العليا بهذه الوجهة، يرجع عهدهما
بلا نزاع إلى سنة ٧٠٣-٧٠٣ هـ (١٣٠٣ - م) لا إلى عهد
”بيبرس الأول“ كما هو الرأي السائد الآن . (الصورة رقم ٢)

كذلك المئذنتان القائماتان على طرفي الوجهة البحرية ، فان بقاء
قاعدتيهما بلا هدم سنة ٧٠٢ هـ دليل على أنهما بنيتا قبل ذلك التاريخ .
ولأسباب عمارية سأذكرها فيما بعد أرجح أنهما بنيتا في آخر العهد
الفاطمي ، ومثلهما مئذنة ”عرفة“ كما أثبتنا ذلك تاريخيا .

عمارة علاء الدين نائب دار العدل - ولما تولى "علاء الدين بن بروانه" نيابة دار العدل سقّف الزيادة البحرية الشرقية ، وكانت قبلا حاصلًا للحصر ، وبلّط أرضها وجعل لها (درا بزينا) ممتدا من جانب الجامع الشرقى إلى باب الزيادة المقابل له ، والمسلك منه إلى سوق النحاسين .

عمارة الصاحب تاج الدين بن حنا - هذه العمارة تنحصر فى بناء دورة مياه ومزيرة فوق سقف غرفة خارج الجامع متصلة بسطحه بواسطة سقيفة ، والغرض من ذلك خدمة من يكون فوق سطح الجامع .

عمارة صدر الدين الباربارى - هذه العمارة كسابقتها خارج الجامع ، وتنحصر فى تجديد ساقية ومزيرة شرقى الجامع .

عمارة الرئيس برهان الدين - وفى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١-١٤٠٢ م) كان الجامع قد تشعث ومالت (قواصره) وأوشك أن يسقط ، فتطوع الرئيس "برهان الدين إبراهيم بن عمر بن على المحلى" رئيس التجار بديار مصر لعمارة بنفسه وذويه ، فهدم صدر الجامع كله فيما بين المحراب الكبير والصحن طولا وعرضا وأزال اللوح الأخضر ، وأعاد البناء كما كان أولا ، وجدد لوحا آخر بدلا من الأول ونصبه كما كان وجرّد العمد كلها ، وتبع جدر الجامع فقوم شعثها كلها ، وأصلح من

رخام الصحن ما كان قد فسد، ومن السقوف ما وهى؛ وبيض الجامع كله، وهنا يقول المقرئى: "ولم يتعطل منه صلاة جمعة أو جماعة". ويهمننا فى هذه العمارة أن صدر المسجد قد هدم ثم جدد كله للمرة الثانية بعد هدمه وتجديده للمرة الأولى فى عهد "صلاح الدين الأيوبى"، وهذا يجيز لنا القول بأن عمارة "عبد الله بن طاهر" لم يبق لها أثر مطلقاً.

عمارة السلطان قايتباى - وفى سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) كشف السلطان قايتباى عما تهدم من حيطانه وأسقفه وأمر ببنائه من ماله الخاص؛ وبعد هذه العمارة لم يرد ذكر لإصلاحات أخرى بالجامع إلى أن دالت دولة المماليك الجراكسة ودخلت مصر فى حياة العثمانيين الذين لم يذكر لهم التاريخ إصلاحات بالجامع إلى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) حيث كان قد تخرب بخراب ما حوله من الأبنية بالفسطاط وهجره المصلون لبعده عن العمران، فرأى الأمير مراد محمد بك أن يهدمه كله لسقوط سقفه وأعمدته وميل إيوانه الغربى وسقوط بعضه؛ وفعلاً أصلح بنيانه وقوم أعمدته وبيضه وجدد سقفه، وفرشه بالحصر وعلق به القناديل وصلى فيه آخر جمعة من رمضان سنة ١٢١٢ هـ^(١) (١٧٩٨ م) وأثبت قيامه بعمل

(١) الجبرئى ج ٣ ص ١٧٠

هذه العمارة على أربع لوحات من رخام أولاها موضوعة أعلى الباب الغربي وأسفل المثدنة ، والثانية أعلى الباب الأوسط ، والثالثة أعلى المحراب الكبير الداخلي ، والرابعة فوق المحراب الصغير الموجود على يسار المحراب الكبير .

لكن يحوم الشك حول عمل مراد مجد بك ، إذ لا يبعد أنه عندما عمل هذا الإصلاح لم يحترم التخطيط الأصلي للجامع ، بل يتحمل أنه غير أبعاد الإيوانات الأربعة كما غير أبعاد الصحن أيضا وترتب على هذا التغيير :

١ - نقص في عرض الإيوان القبلي بحيث أصبح عدد صفوف أعمدته ستة لا سبعة كما كان الحال منذ عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي .

٢ - زحزحة الأعمدة من مواضعها الأصلية وبنائها على أسس جديدة ركيكة ضعيفة بدلا من الأسس القديمة السليمة الباقية إلى الآن .

٣ - تغيير اتجاه جبال الطارات (arcades) بالإيوان القبلي على الأقل ، فأصبحت الآن عمودية على جدار المحراب بعد أن كانت موازية له . ونتج عن هذه المخالفة أن صادفت أرجل العقود بعض شبابيك

بالواجهات فسدتها . على أنه لم يقيم دليل كاف على نسبة هذه التهم إلى مراد بك .

” ولما احتل الفرنسيين مصر جرى للجامع ما جرى على غيره من الجوامع من هدم وتخريب حتى صار مقفرا وأسوأ مما كان قبل العمارة وظل على هذا الحال إلى أن تولى ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا على مصر فأصلحه وأعاد صلاة الجمعة فيه تبركا به ووقف عليه من الأعيان ما يكفي للصرف عليه واستمر ولاية مصر من بعده يتعهدونه بالإصلاح و يقيمون به صلاة الجمعة الأخيرة من كل رمضان “ .

لكنه على الرغم من ذلك اضمحل وسقط إيوانه الشرقي والغربي سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ - ٨٣ م) وما زال على حالهما إلى الآن .

وفي سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) أجرى به ديوان الأوقاف عمارة كبرى فحدد سقف الإيوان القبلي وبعض الأيوان البحري وأقيمت جدرانه وفرشت أرضه بالبلاط ، وقد ساهمت بنصيب في تنفيذ هذا الإصلاح .

أعمال لجنة الآثار العربية - في آخر سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م) عنت اللجنة بهذا الأثر فعهدت إلى قسمها الفني في فحصه بدقة وتقديم تقرير شامل بالإصلاحات اللازمة ومقدار تكاليفها فقام القسم الفني بهذا العمل في ٢ محرم سنة ١٣٢٤ هـ (٢٣ فبراير سنة ١٩٠٦ م) ورأى قبل كل شيء وجوب البحث في أرضية الجامع عماعسى أن يوجد بها من آثار الأسس التي زالت جدرانها والتي بواسطتها يمكن وضع خطة تفصيلية للأعمال التي يقر الرأي على إجرائها به على أن تشمل هذه الخطة إعادة الإيوانين القديمين إلى ما كانا عليه وإصلاح الإيوانين الموجودين وتعيين صحن الجامع .

ولما تمت عملية الكشف في صفر سنة ١٣٢٤ هـ (مارس سنة ١٩٠٦ م) عرض جناب الباشمهندس على القسم الفني نتيجة بحوثه ويين أن الحفر كان في عدة مواضع من الجامع كشفت فيها جدران من عصور مختلفة ، ولذلك فانه يستصوب الاستمرار في أعمال الحفر حتى تنكشف جميع الحيطان المماثلة للتي كشفت ، وبعد كشفها يمكن الحكم على أهميتها . ووافق القسم على اقتراحه وطلب أن يكون الحفر شيئاً فشيئاً حتى لا يزدحم الجامع بالأتربة فتحول دون إقامة الشعائر الدينية به .

وفي ربيع الأول سنة ١٣٢٥ هـ (أبريل سنة ١٩٠٧ م) زار القسم الفني هذا الجامع مرة ثانية . ولما كانت أرضيته أحط من أرض الشارع فقد رأى كشف جوانب الجامع وطلب توجيه نظر ديوان الأوقاف إلى إزالة بعض المنازل المجاورة له .

ولما كان الإصلاح يستدعي نفقات طائلة وليس له من الأعيان الموقوفة عليه ريع كاف ينفق منه على هذا الإصلاح فقد رأى أن أيسر شئ لتجديده هو توجيه دعوة عامة إلى المسلمين الراغبين في المحافظة على آثار السلف للتبرع لهذا المشروع (مشروع التجديد) - وقد أعلنت الدعوة فعلا في آخر جمعة من رمضان سنة ١٣٢٩ هـ (أغسطس سنة ١٩١١ م) . ووضع المرحوم محمود فهمى باشا باشمهندس الأوقاف الأسبق مشروع التجديد ولكن الأمر وقف عند هذا الحد .

وفي سنة ١٩٢٦ عملت مسابقة عامة لوضع تصميم للجامع يطابق حالته في العهد الذي بلغ فيه غاية مجده ونخامته فقدم المتسابقون سبعة مشروعات فُصل فيها سنة ١٩٢٧ . وفي سنة ١٩٣٠ اعتمدت لجنة حفظ الآثار العربية مبلغ أربعة آلاف من الجنيهات لإصلاح إيوان الكبير (إيوان المحراب) إصلاحا شاملا مع تقوية جدران الأجزاء الأخرى من الجامع ، ولا يزال العمل جاريا به إلى الآن . (مايو سنة ١٩٣٢ م)

وفي أثناء القيام بعملية التقوية أمكن كشف أبوابه الشرقية الخمسة وباب قاعة الخطيب على يمين المحراب الكبير وثلاثة أبواب من أبوابه الأربعة بالجانب الغربي فلم يبق من أبواب الجامع، بعد هذا الكشف، سوى باب رابع بهذا الجنب يعرف باسم باب سوق الغزل وقد بينا موضعه بالتقريب على المسقط الأفقي للجامع .

تفاصيل الجامع كما وصفها ابن دقماق

ترك لنا ابن دقماق معلومات كثيرة عن تفاصيل الجامع تساعدنا على تخطيطه بالصورة التي كان عليها في عهده—أى في أواخر القرن الثامن الهجرى لأن ابن دقمان توفى سنة ٩٠٨ هـ أى سنة (١٤٠٦ م) .

على أن هذا المؤرخ عند ما وصف الجامع اعترف ضمنا بأنه اعتمد في هذا الوصف على ما ذكره عنه ابن المتوج المتوفى سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩-٣٠ م) . ويفهم من هذا أن تخطيط الجامع في القرن السابع الهجرى أو في أواخره على الأقل كان مثله في أواخر القرن الثامن وبعده بكثير، لأن البحوث التي قمنا بها أخيرا دلت على صدق رواية

ابن دقماق إلى حد كبير ، وعلى وجود بقايا كثيرة بالجدران حافظة لشكلها الأصلي الذي وصفها به هذا المؤرخ غير المهندس . أما عمر هذه البقايا فسنعالجه فيما يعد .

مقياس الجامع :

في الصفحة ٥٩ وما بعدها من الجزء الرابع لابن دقماق توجد الأرقام الآتية :

مسطح الجامع - ٢٠٠٠ ذراع بلدى مربع منه ١٣٤٢٥ ذراعا لكل من الإيوانين القبلي والبحرى و ٧٥٠٠ ذراع للصحن و ٣٨٢٥ ذراعا لكل من الإيوانين الشرقى والغربى ، أما بذراع العمل - أى الذراع المعمارى - فإن سطح الجامع - ٢٨٠٠٠ ذراع منه ٧٥٩٠ لكل من الإيوانين القبلى والبحرى وللصحن ٥٠٠٠ ذراع ولكل من الإيوانين الشرقى والغربى ٢٥٥٠ ذراعا .

وأما طول وعرض الجامع فقال إنهما ١٩٠ × ١٥٠ ذراعا معماريا على التوالى ، وذلك بخلاف الزيادتين . وهذه الأرقام بعينها ذكرها المقرئى .

وبمناقشة هذه الأرقام من الوجهة الحسابية ظهر خطأها وعدم كفايتها للحصول على أبعاد الإيوانات والصحن ، ولكنها دلت على

أن كل إيوانين متقابلين كانا متماثلين في المساحة ؛ وهذا التماثل وإن لم يكن تاماً إلا أنه محسوس .

وبإعادة قياس الجامع ظهر أن متوسط طوله من الجهة القبليّة إلى الجهة البحريّة ١٢٠٥٠ متراً أو ١٦٠ ذراعاً معمارياً وعرضه من الشرق إلى الغرب (أى طول جدار المحراب) ١١٢٥٥ متراً أو ١٥٠ ذراعاً ؛ وعلى ذلك تكون مساحة الجامع بغاية التقريب .

$$٢٤٠٠٠ = ١٥٠ \times ١٦٠ \text{ ذراع معمارى مربع}$$

وذلك بدلا من ٢٨٠٠٠ ذراع التي ذكرها ابن دقماق .

ولما كان المأسوف عليه كوربت بك - الذي اعتبره شخصياً أجدد الباحثين في الجامع بالاحترام الفائق - قد استخرج أبعاد الإيوانات والصحن على أساس أرقام ابن دقماق ، فقد رأيت أن أثبت هنا في جداول خاصة مع غيرها من الأرقام لمقارنة بين النتائج التي توصل إليها كلانا ، هذا مع العلم بأن الرقمين ١٦٠ و ١٩٠ متقاربان شكلاً ، ولذا لا يستبعد أن يكون الخلاف بيننا وبين ابن دقماق في طول الجامع ناتجاً من خطأ مطبعي أو عدم تدقيق ابن دقماق في النقل عن ابن المتوج .

الجدول رقم (١) قياس ومساحة الجامع

مساحته		عرض الجامع	طول الجامع	المصادر
ذراع بلدى	ذراع معمارى			
٤٢٠٠٠	٢٨٠٠٠	١٥٠ ذراعا معماريا	١٩٠ ذراعا معماريا	المقريزى وابن دقاق
٤٢٠٠٠	٢٨٥٠٠	١٥٠ » بلديا	١٩٠ » بلديا	كوريت بك ...
٤٠١٢٨	٢٤٠٠٠	١٥٠ » معماريا	١٦٠ » معماريا	محمود أحمد ...

وقد استخرج كوريت بك أطوال وعروض الأيونات الأربعة والصحن اعتمادا على البيانات السابقة فكانت النتائج غير صحيحة لهذا السبب ولسبب آخر هو أنه استخدم فى الحساب مقياسين مختلفين، فقياس طول الجامع وعرضه بالذراع البلدى البالغ ٥٨,٠ من المتر ثم قاس الأيونات والصحن بذراع العمل الذى طوله ٧٥,٠ من المتر مع أن القاعدة الحسابية المتبعة فى مثل هذه الأحوال تحتم توحيد المقياس .

أما قياسات الأيونات والصحن، كما ذكرها ابن دقاق، فإن بعضها يقرب من القياسات التى أظهرها الكشف والبعض الآخر يختلف عنها، ولهذا صرفنا النظر عن مناقشتها اكتفاء باثبات القياسات الحقيقية على الرسم الأفقى .

أعمدة الجامع - أثبت ابن دقماق أن عدد أعمدة الجامع ٣٧٨
عمودا وزعها كما يأتي :

بالإيوان القبلي - أي مقدم الجامع - سبعة صفوف بكل منها ٢٠
عمودا وثلاثة محاريب بكل منها عمودان ، وبزاوية عمر وأسفل المثدنة
الشرقية القبليّة زيادة أربعة أعمدة وأربعة أخرى مجاورة للأعمدة
الحاملة للوح الأخضر المشرف على الصحن . وبذلك تكون جملة
أعمدة الإيوان القبلي ١٥٤ عمودا ، وقد تحدد هذا الإيوان على اللوحة
رقم (٢) بالحرف ا . ا . ا (لوحة رقم ٢٠) .

بالإيوان الغربي - عشرة صفوف بكل صف منها خمسة أعمدة
ثم وضع عمود آخر بجوار أحد الأعمدة فكانت جملة أعمدة الإيوان
الغربي ٥١ عمودا ؛ وقد تبين هذا الإيوان على اللوحة رقم (٢)
بالحرف ب . ب . ب . ب .

بالإيوان البحري - أي المؤخر - سبعة عشر صفا موزعة توزيعا
غير منتظم (مبين بالصفحة ٦٠ - ٤ - من ابن دقماق) كما يأتي :

١ - (بائكة) من باب الأكفانيين إلى جدار الجامع البحري من
غربيه بها أربعة صفوف بكل صف ستة أعمدة وفيها عمود زيد
إلى جانبه عمود آخر ، بجملة ذلك ٢٥ عمودا . وقد تحددت بالحرف ج .

٢ - (بائكة) تلى ذلك من مؤخره محدودة بالحرف (د) بها
ثلاثة صفوف في كل صف منها ثمانية أعمدة ، فالجملة ٢٤ عمودا
وسناقشها فيما بعد .

٣ - بائكة من مؤخرالجامع تلى السابقة بها ثلاثة صفوف في كل
صف ثمانية أعمدة خلاف الصف الأوسط مكان الفسقية ففيه
سبعة أعمدة ، وجملة ذلك ٢٣ عمودا وهي محدودة بالحرف (هـ) .

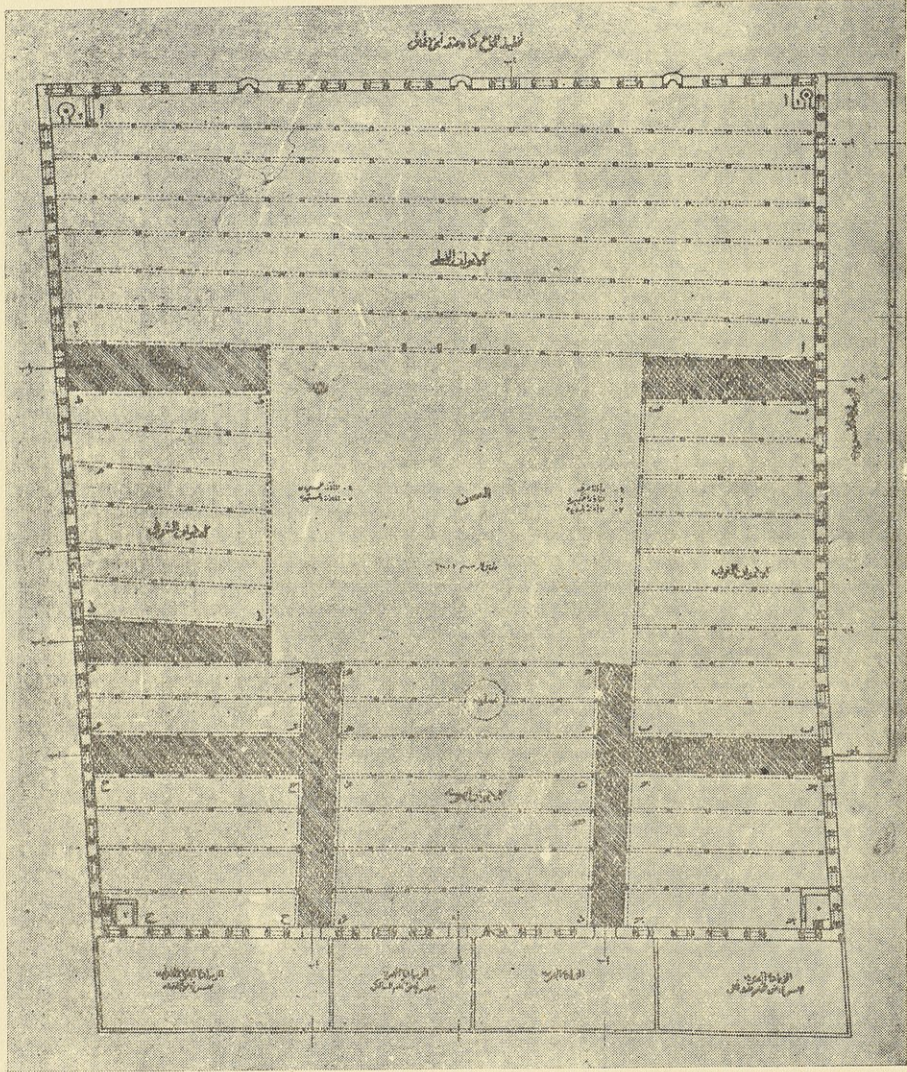
٤ - (بائكة) تلى السابقة محدودة بالحرف (و) بها ثلاثة صفوف
في كل صف منها سبعة أعمدة ، وجملة ذلك ٢١ عمودا .

٥ - و(بائكة) تلى السابقة محدودة بالحرف (ح) بها أربعة
صفوف في كل صف منها سبعة أعمدة وفيها ثلاثة مزيدة في ثلاثة
صفوف منها فتكون جملة أعمدة هذا الإيوان ١٢٤ عمودا .

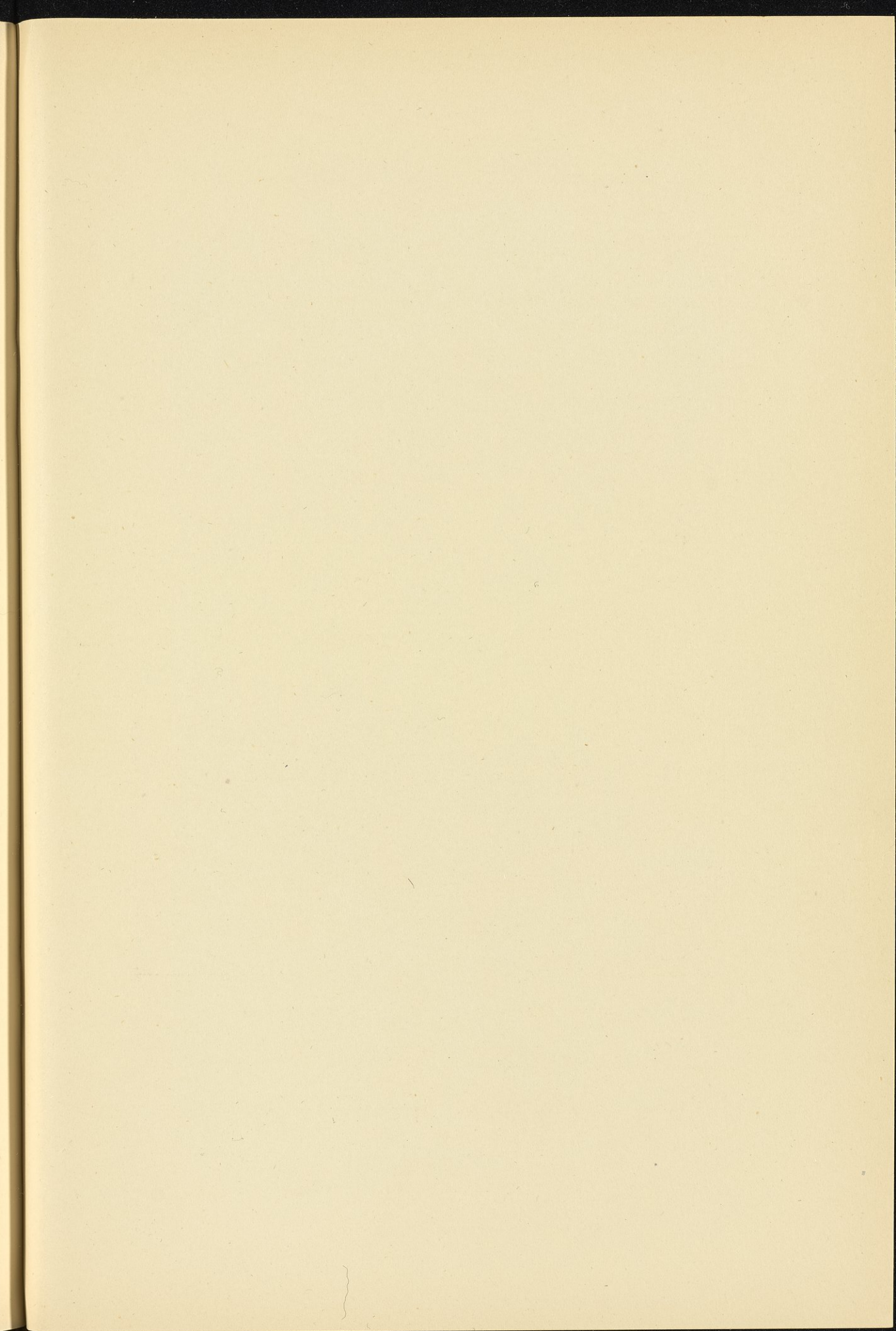
بالإيوان الشرقي - سبعة صفوف في كل صف منها خمسة أعمدة
فتكون جملة أعمدته ٣٥ عمودا وقد تحدد بالحرف (ط) وعمودان
أسفل المئذنة الشرقية البحرية (الجديدة) وقد أظهرنا موضعها
فيما كشفناه أخيرا .

وزيادة على ذلك فإن هناك عمودين مثلهما أسفل المئذنة الغربية
البحرية المستجدة وهما باقيان إلى الآن .

ولما كان القسم (د) (الذى قال عنه ابن دقاق إنه مكون من ثلاثة صفوف) يحتوى فى الواقع على أربعة صفوف على امتداد الصفوف الأربعة للقسم (ج) كما ثبت ذلك من الكشف على الأسس؛ فبناء على ذلك يصير عدد أعمدة الإيوان البحرى ١٣٢ عمودا بدلا من ١٢٤ ويصير مجموع أعمدة الجامع ٣٨٦ بدلا من ٣٧٨؛ وهناك دليل آخر على أن عدد صفوف (د) أربعة لا ثلاثة هو قول ابن دقاق نفسه إن بمؤخر الجامع سبعة صفوف من الأعمدة، وهذا هو المستنتج من النظر إلى تخطيط الإيوان البحرى نظرة عامة غير مراعى فيها تقسيمه إلى المناطق الخمس السالفة الذكر عند كلامنا على توزيع أعمدة الجامع ذلك التوزيع الذى عُمل فى الإيوان البحرى بطريقة تدعو إلى شىء كبير من التفكير. إذ لو كان هذا الإيوان مكونا من سبعة صفوف من الأعمدة ممتدة من الشرق إلى الغرب لا تبع ابن دقاق فى عد أعمدته نفس الطريقة التى اتبعها فى عد أعمدة صفوف الإيوان القبلى؛ أما وهو لم يفعل ذلك، بل عمد إلى تقسيمه إلى خمس مناطق، فالذى يتبادر إلى الذهن أنه كانت هناك عدة مجازات تفصل بعض أجزاء هذا الإيوان عن بعض، فعمد ابن دقاق إلى عد أعمدة كل جزء على حدة؛ وعلى هذا الفرض صار تخطيط الإيوان البحرى بالكيفية المبينة باللوحة رقم (٢).



تخطيط الجامع كما وصفه ابن دقاق



كذلك كان الحال مع الإيوانين الشرقي والغربي فإنه ذكر أولا أن بكل منهما خمسة أروقة . ولأول نظرة على الرسم يبدو هذا القول صحيحا ، ولكنه عندما وزع الأعمدة ظهر لنا :

(١) أن صفوف أعمدة الإيوان الغربي ممتدة من الشرق إلى الغرب وأن ثلاثة من هذه الصفوف متداخلة في الإيوان البحري لغير سبب ظاهر، مع أنه لولا هذا السبب المجهول لكان اعتبار هذه الصفوف الثلاثة جزءا من الإيوان البحري أمرا طبيعيا ومعقولا .

(ب) أن ما ذكره ابن دقاق من أن الإيوان الغربي ينتهي من الجهة البحرية إلى باب الأقفانين الذي كشفناه أيضا يعزز الظن بأن وجود المجازات هو السبب في تقسيم الأيوانات إلى مناطق ، لأنه بدهى جدا أن الباب لا بد له من مجاز أمامه يؤدي إلى داخل الجامع .

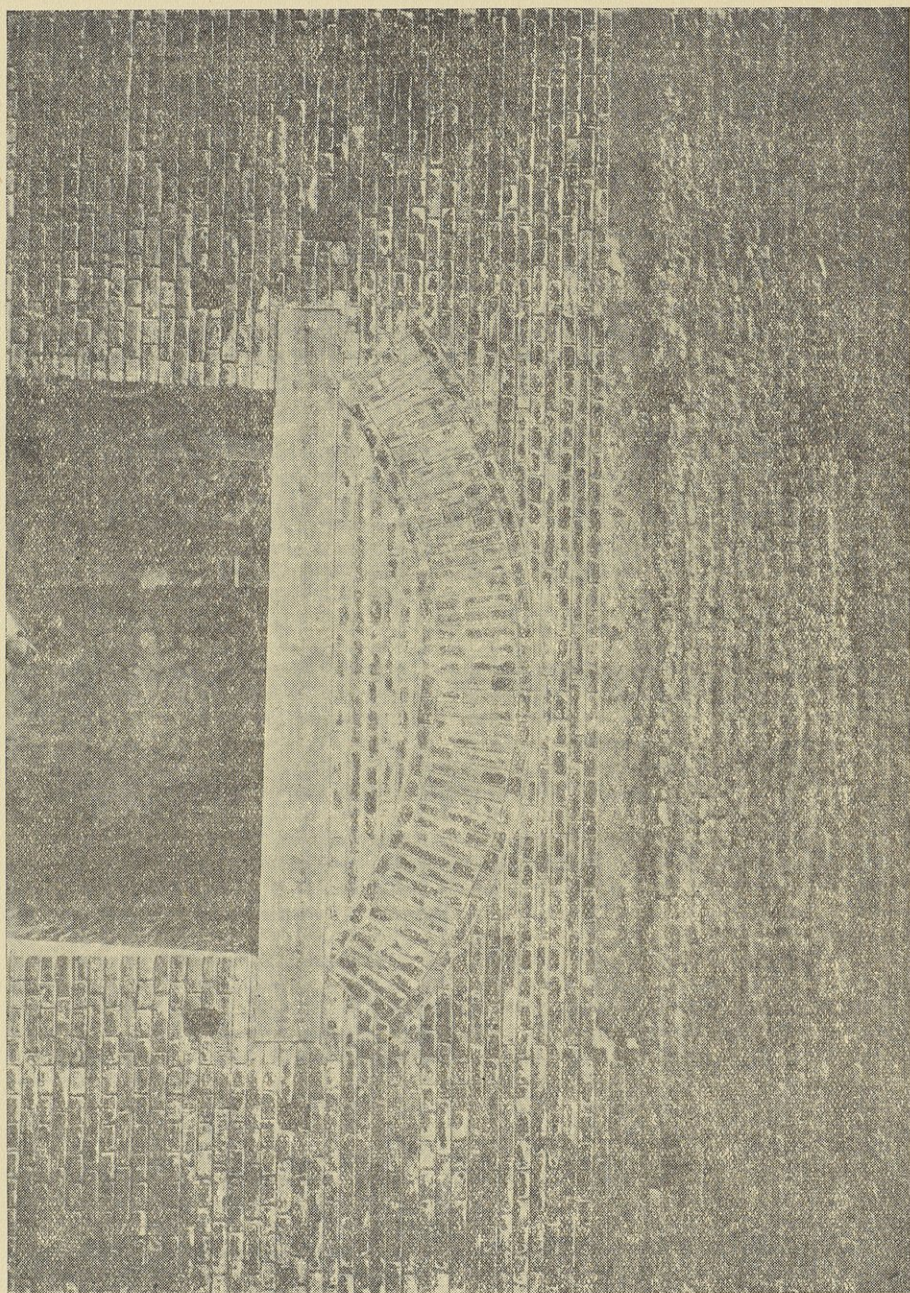
(ج) أن بالإيوان الشرقي سبعة صفوف لا بد أن تكون ممتدة من الشرق إلى الغرب كالإيوان الغربي، إذ لو كانت ممتدة من الجهة البحرية إلى الجهة القبليية لكان عددها خمسة صفوف .

الأعمدة كما وزعها كوربت بك - اعتبر كوربت بك أن الأعمدة موزعة توزيعا منتظما تماثلا في كل إيوانين متقابلين فكانت النتيجة هكذا :

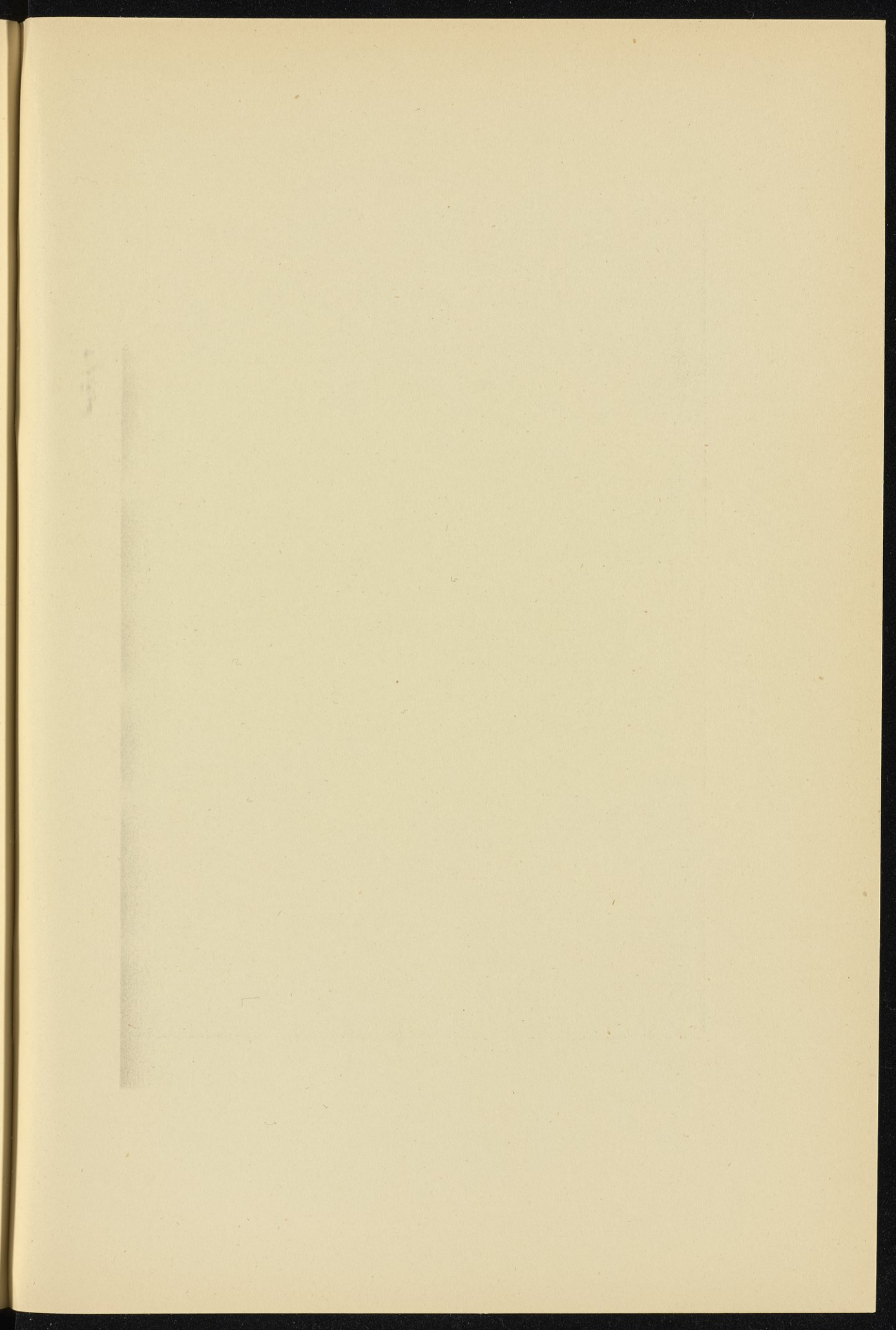
بالإيوان القبلي سبعة صفوف في كل صف منها ٢٢ عمودا	
فيكون مجموعها .	١٥٤
بالإيوان البحري مثل ما بالإيوان القبلي .	١٥٤
بالإيوان الشرقي ستة صفوف في كل صف منها سبعة أعمدة	
فيكون مجموعها .	٤٢
بالإيوان الغربي مثل ما بالإيوان الشرقي .	٤٢
المجموع الكلي	٣٧٨

أى أن كوربت بك اتفق مع ابن دقماق في العدد الكلي لأعمدة الجامع وخالفه في عدد صفوف الأيوانات وفي عدد أعمدة كل صف وذلك بغير وجود مبرر لهذه المخالفة .

أبواب الجامع - اتفق المقرئى وابن دقماق على أنه كان للجامع ١٣ بابا موزعة كالاتى : فى الجدار البحرى ثلاثة أبواب يؤدى أحدها الى الزيادة الشرقية ، والثانى الى الزيادة الغربية الى مجلس



الباب الرابع، جدار البحري (الشرقي قديما)



الحكم الشافعي والثالث إلى باقى الزيادة المذكورة . وفى الجدار الشرقى خمسة أبواب فى صف واحد تؤدى إلى الطريق العام وأربعة فى جداره الغربى وباب فى جداره القبلى يؤدى إلى غرفة الخطيب .

وبمرور الزمن سدت معظم هذه الأبواب فلم يبق منها إلى سنة ١٩٣٠ سوى الأبواب الثلاثة التى بالجدار البحرى وباب حديث فتح بالجدار المذكور ليؤدى من الجامع إلى دورة المياه الحديثة التى أنشأها ديوان الأوقاف سنة ١٨٩٩ فى غير موضعها القديم الذى كان خارج الجامع من الجهة الغربية القبلىة .

أما الآن فقد كشفنا الأبواب الخمسة الشرقية والباب القبلى وثلاثة من الأبواب الأربعة الغربية التى حدد ابن دقماق مواضعها فقال إن اثنين منها يؤديان إلى الزيادة الغربية والثالث يؤدى إلى سوق الغزل والرابع إلى سوق الأكفانيين .

ولهذا التحديد أهميته لأنه يدل صراحة على أن الزيادة الغربية لم تكن ممتدة بطول الجدار الغربى للجامع ، بل إلى ما يقرب من نصفه القبلى فقط .

ضريح عبد الله بن عمرو — يوجد الآن بالزاوية القبلىة الشرقية للجامع قبة يقال إنها قائمة فوق تربة دفن فيها عبد الله بن عمرو بن

العاص، وسبب ذلك أن مروان بن الحكم لما سار إلى مصر وحارب المصريين كان عبد الله من جملة القتلى فدفن في داره فلها وسع الجامع قرة بن شريك أدخل به ذلك الجزء من الدار الذي دفن فيه عبد الله فصار من ذلك الحين ضريحاً له . وهذه الرواية تنقسم إلى قسمين (الأول) دفن عبد الله بداره ، و (الثاني) إلحاق الجزء الذي دفن به بأرض الجامع .

أما القسم الثاني فلم يرد له ذكر فيما لدينا من المصادر التاريخية . وهو في ذاته منقوض إذا لاحظنا أن موضع هذا الضريح كان جزءاً من دار عمرو بن العاص لا من دار ابنه عبد الله، وهذا ما يحملنا على الظن بأن هذه الرواية ليست إلا إشاعة .

وأما القسم الأول فالأقوال فيه كثيرة متضاربة فقد جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة^(١) الصحابة ما يأتي :

قال (الواقدي) مات عبد الله بن عمرو بالشام سنة ٦٥ وهو يومئذ ابن ٧٢ سنة ، وقال ابن (البرقي) وقيل مات بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر ودفن في داره . قال يحيى بن بكير البخاري

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ (ج ٢ - ٣٥١) .

قولا وحكى آخر أنه مات سنة ٦٩ وبالأول جزم ابن يونس . وقال
ابن أبي عاصم مات بمكة وهو ابن ٧٢ سنة وقيل مات سنة ٧٨
وقيل ٦٩

وجاء في أسد الغابة في معرفة الصحابة (١) ما يأتي :

توفى في سنة ٦٣ وقيل ٦٥ بمصر وقيل سنة ٦٧ بمكة وقيل
توفى في سنة ٥٥ بالطائف وقيل سنة ٦٨ وقيل سنة ٧٣ وكان
عمره ٧٢ وقيل ٩٢ سنة ، شك ابن بكير في سبعين وتسعين ا هـ .

وجاء في النجوم الزاهرة (٢) ما يأتي :

وكان في ذلك اليوم (أى نصف جمادى الآخرة سنة ٦٥) موت
عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته
إلى المقبرة فدفنوه بداره لشغب الجند على مروان - ا هـ .

هذا ، وقد ذكر ابن دقماق وغيره أقوالا أخرى لا تخرج في معناها
عما تقدم ، وكلها غير مجمعة لا على تاريخ موته ولا على موضع دفنه
إلا أنها لم تشر مطلقا إلى وجود ضريح له بداخل الجامع ؛ على أن
ابن دقماق الذى وصف الجامع وصفا شاملا لم يذكر لاهو ولا المقرئ
شيئا عن هذا الضريح ، بل أتيا على أقوال تنفي وجوده بتاتا .

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد الأثير (ج ٣ ص ٢٣٥) .

(٢) النجوم الزاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى (ج ٩ - ١٦٦) .

فقد عرفنا أن المئذنة الكبيرة كانت قائمة على الناصية القبليّة الشرقية للجامع ، أى فوق الضريح الحالى مباشرة وهذه المئذنة حل محلها الآن القبة الحالية التي نظن أنها من عمل مراد بك . ولم تجر العادة مطلقا بأن تقام مئذنة فوق ضريح. هذان من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ابن دقاق ذكر ضمن أعمدة الجامع أربعة أعمدة بزواوية عمرو أسفل المئذنة الشرقية القبليّة. وهذه الزاوية هي التي يشغل مكانها الضريح الحالى أيضا ، كذلك ذكر من جملة أعمال صلاح الدين بالجامع (ص ٦٩ - ٤) أنه عمر المنطرة التي تحت المئذنة الكبيرة ، وفي ذلك كله دليل على أن عبد الله ابن عمرو لم يدفن بالجامع مطلقا .

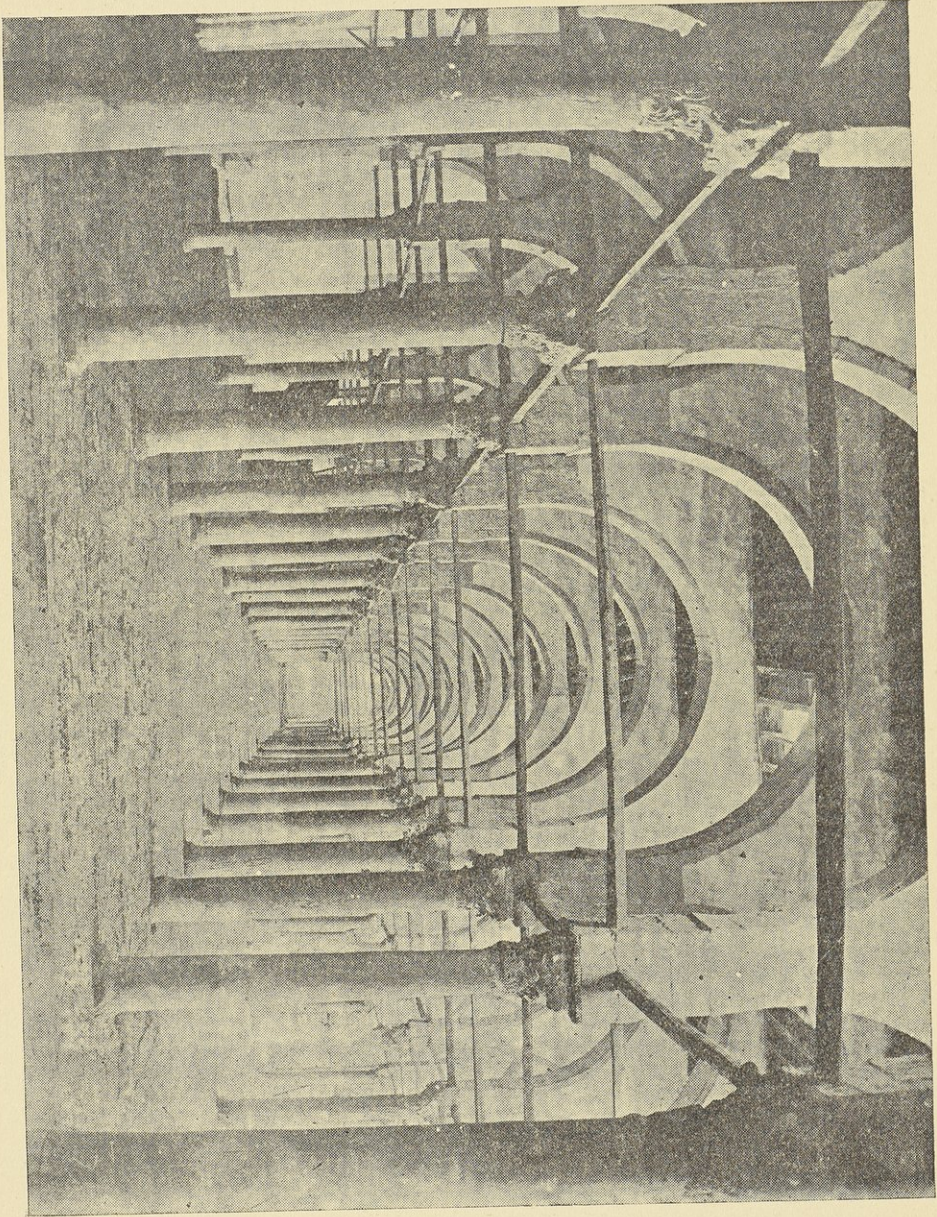
المحاريب - كان للجامع ثلاثة محاريب مشروعة في جداره القبلي

وهي :

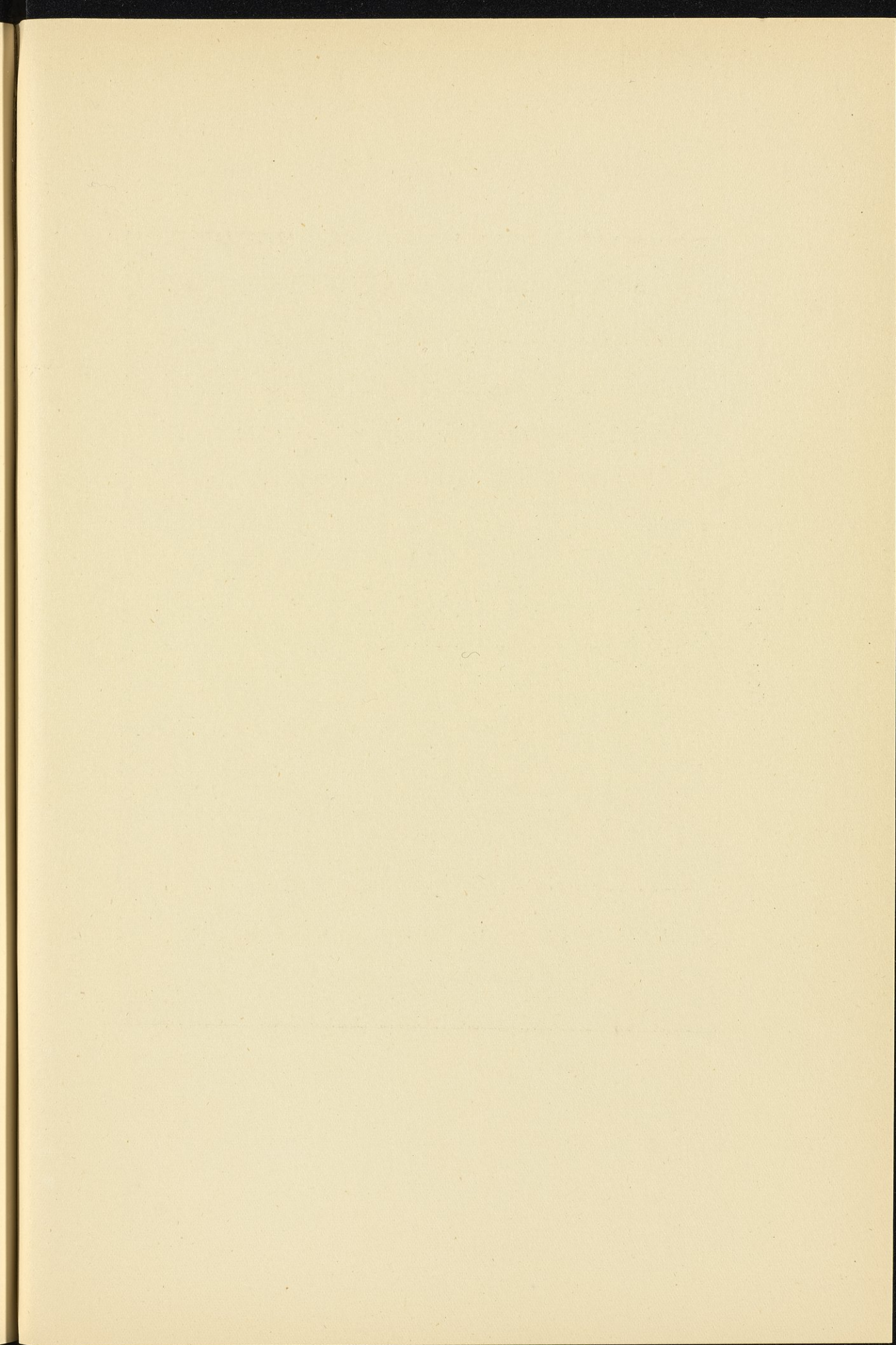
١ - المحراب الكبير المجاور للنبير .

٢ - المحراب الأوسط .

٣ - محراب الخمس صلوات . ولا يبعد أن كانت هذه المحاريب الثلاثة مقابلة للأبواب الثلاثة المفتوحة في الجدار البحري - أما الآن فليس للجامع سوى محرابين أحدهما في وسط الجدار القبلي تقريبا والثاني شرقيه . ولما كنا قد ذكرنا من قبل (ص ٢١) أن الخليفة المستنصر



أبواب الخراب كما هو الآن



أمر بعمل منطقة من فضة في صدر المحراب الكبير ، فانا لاندرى أين موقع هذا المحراب ، وقد يبدو لأول وهلة أنه المحراب الأوسط الحالى غير أن ابن دقاق ذكر عند الكلام على محاريب الجامع ، أنه ليس المحراب الأوسط بل هو أحد المحرايين المتطرفين فلا يبعد إذن أن يكون المحراب الغربى الذى عمل فى زيادة ابن طاهر هو الذى ظفر بعناية المستنصر ، يؤيد ذلك قول ابن دقاق ^(١) (ص - ٦٩ - ٤) :

”وفى رمضان سنة ٤٤٠ هـ (فبراير ١٠٤٩) جددت الخزانة التى ”فى ظهر دار الضرب مقابلة لظهر المحراب الكبير. وبالعودة إلى زيادة ”الخازن (ص ١٧) نرى أن دار الضرب تقرب من هذا المحراب .“

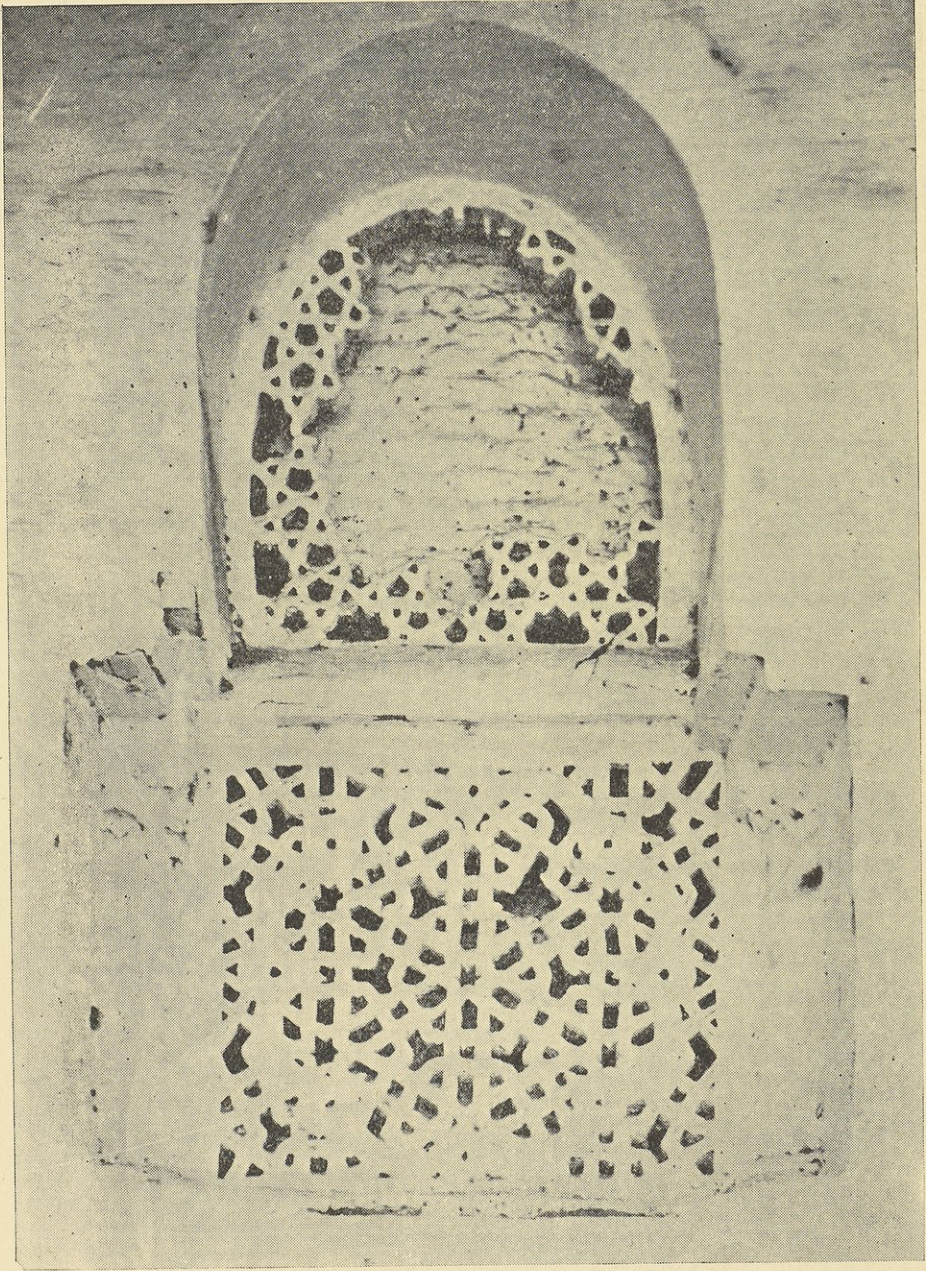
أما المحراب الكبير الحالى (الأوسط) فالراجح أنه عمل فى عهد عمارة مراد بك .

بقى محراب رابع موجود فى آخر الرواق الثانى من الإيوان القبلى من الجهة الشرقية يزعم بعض الناس أنه محراب معبد للسيدة نفيسة ، ويزعم البعض الآخر أنه للسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا لا حجة له لأن السيدة فاطمة الزهراء دفنت بالمدينة ، وأما السيدة نفيسة فضرىحها معروف بمصر . وعلى هذا نظن أن هذا المحراب حديث العهد ، وربما كان لفاطمة ابنة عفان .

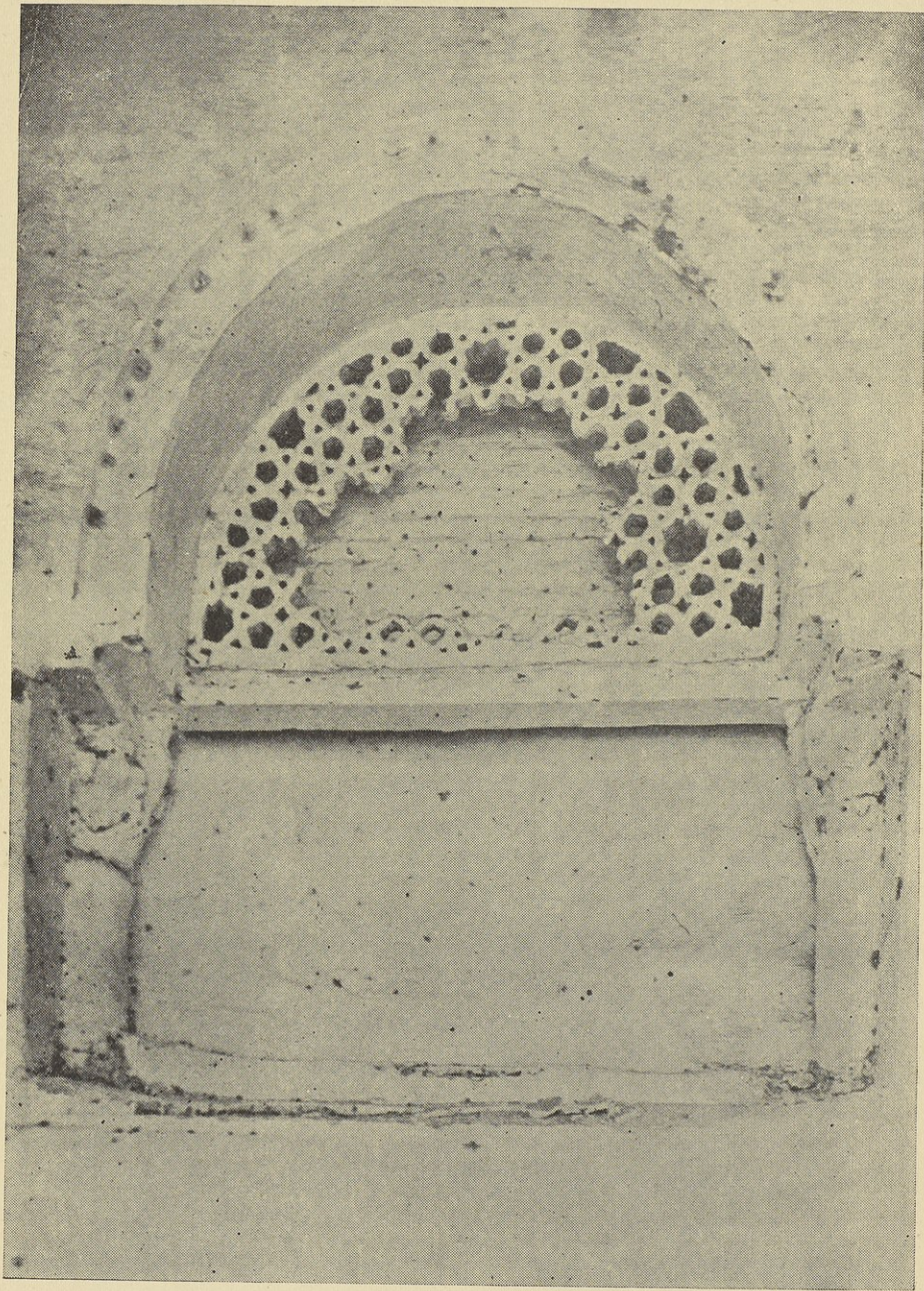
(١) ابن دقاق ج ٤ ص ٧٥

المآذن - للجامع نحس مآذن أشرنا إلى أسمائها ومواقعها من قبل فلا داعى لتكرارها، ولكننا نريد تخصيصها من الناحية الأثرية. فقد عرفنا أن اثنتين منها وهما الكبيرة والسعيدية بنيتا سنة ٥١٥ هجرية ، (١١٢١ م). كذلك بينا أن مئذنة عرفة كانت موجودة في القرن السابع الهجرى، فلم يبق سوى المئذنة الجديدة والمئذنة المستجدة وهما اللتان يجوز لنا، اعتمادا على تسميتهما ، اعتبارهما أحدث المآذن. فمتى بنيتا؟ أما المصادر التاريخية فسكتت عن الجواب، وأما الأدلة العمرانية فتحملنا على الظن بأنهما بنيتا حوالى نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجرى (أوائل القرن الثانى عشر الميلادى) كما يتضح ذلك عند الكلام على شبابيك الجامع .

الشبابيك - هذا الجامع كغيره من الجوامع التى بنيت حتى أوائل القرن الثامن الهجرى (أوائل القرن الرابع عشر الميلادى) وكانت شبابيكها تفتح فى أعلى الجدران بالقرب من السقف كما هو الحال فى الجوامع الفاطمية وفى جامع الظاهر ببيرس الأول وجامع الناصر محمد بالقلعة. وهذه الشبابيك مغطاة دائما بعقود (لا بأعتاب مستقيمة) ومستورة (بجشوات) مفرغة من الجص أو الحجر، وتعرف عند أسلافنا المهندسين (باسم الحنايا المكندجة) - وتدل البقايا الموجودة ببعض



شباك جصي بالإيوان الغربي (البحري قديما)



شباك جصى بالإيوان الغربى (البحرى قديما)

شبابيك جامع عمرو - وخاصة بجداره البحرى على أن الجص المفرغ هو الذى استعمل ستاراكما هو واضح بالصورتين الفتوغرافيتين رقمى (٦٥) .

عدد الشبابيك - حدد ابن دقماق عدد شبابيك الجامع ووزعها توزيعا واضحا حيث قال :

إن عدد حناياه (٧٨) حنية مكندجة منها فى جداره القبلى (جدار المحراب) ١٧ حنية ومثلها فى جداره البحرى بما هو مستور بجدار سلم السطح وديوان استيفاء الأحباس نظير ذلك وهو ١٧ حنية ومنها ما هو فى جداره الشرقى بما فيه من المستور بالديوان المذكور (٢٢) حنية . ومنها ما هو فى جداره الغربى بما هو مستور بجدار السلم (٢٢) حنية فى كل حنية من هذه الحنايا عمودان ، فيكون جملة عمدتها ١٥٦ عمودا بقواعدها .

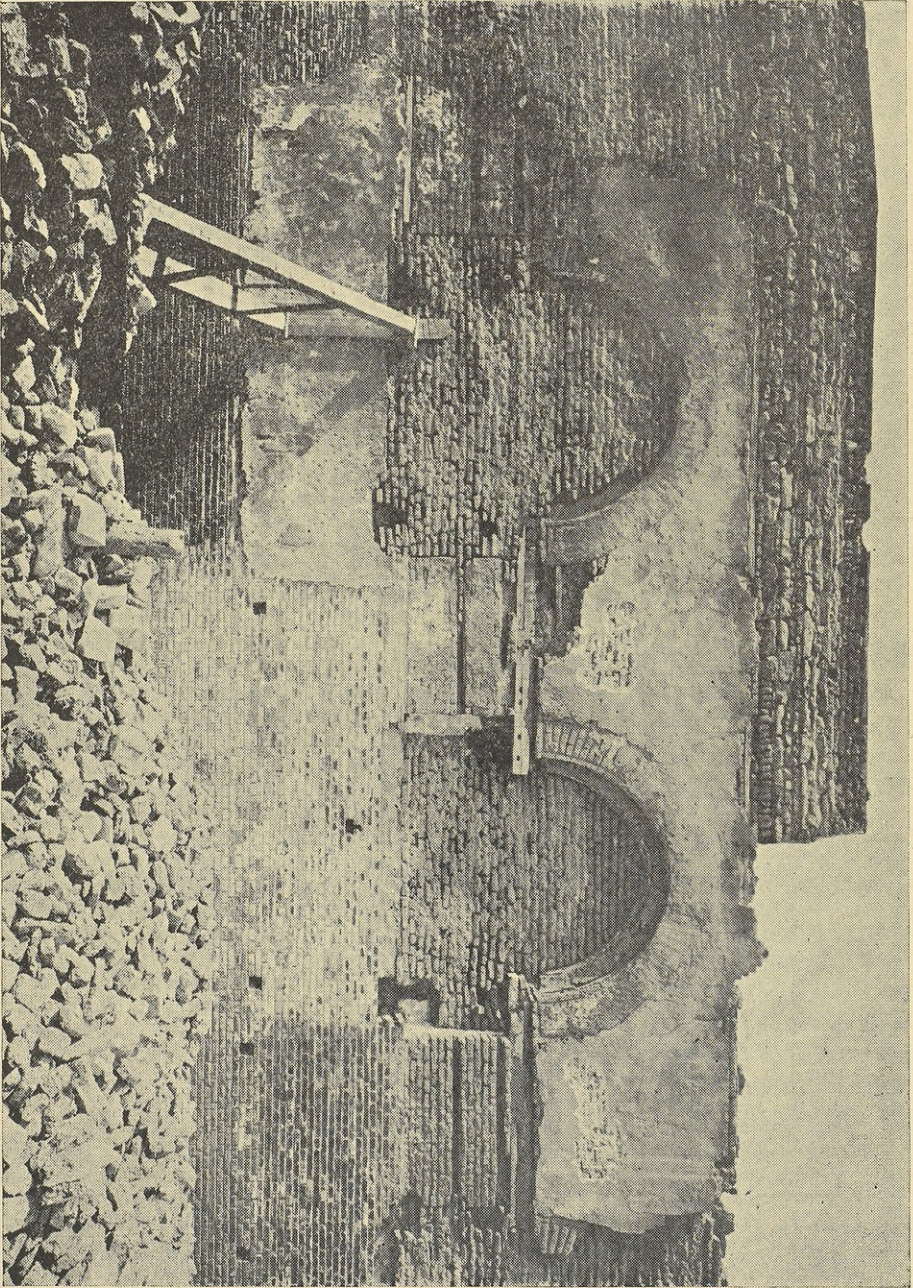
ومن هذا الرصف علمنا أن ديوان الأحباس كان بالركن الشرقى البحرى للجامع أى أسفل المئذنة الجديدة وأن أحد سلالم السطح كان بالركن الغربى البحرى ، أى أسفل المئذنة المستجدة ولا يزال باقيا إلى الآن . كذلك علمنا أن عدد الشبابيك فى كل جدارين متقابلين كان واحدا ، وأنها كلها كانت على شكل واحد ، أى أن عقد كل شبك كان يتكىء بطرفيه على عمودين ، غير أنها الآن ليست كذلك . فى الجدار

القبلي ترى شبابيك الجزء الغربى منه مكونة من ثلاث خانات أكتافها مبنية (بمونة) الطين الخالص الحديث العهد بخلاف (مونة) الجزء الكائن أسفل هذه الشبابيك فإنها مكونة من الجير و (الجبس). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان عدم انتظام شكل هذه الشبابيك ورداءة صنعها يساعدان على القول بأنه طراً تعديل على شكل الشبابيك فى هذا الجزء بعد أن كانت كمشيلاها فى الجوانب الأخرى .

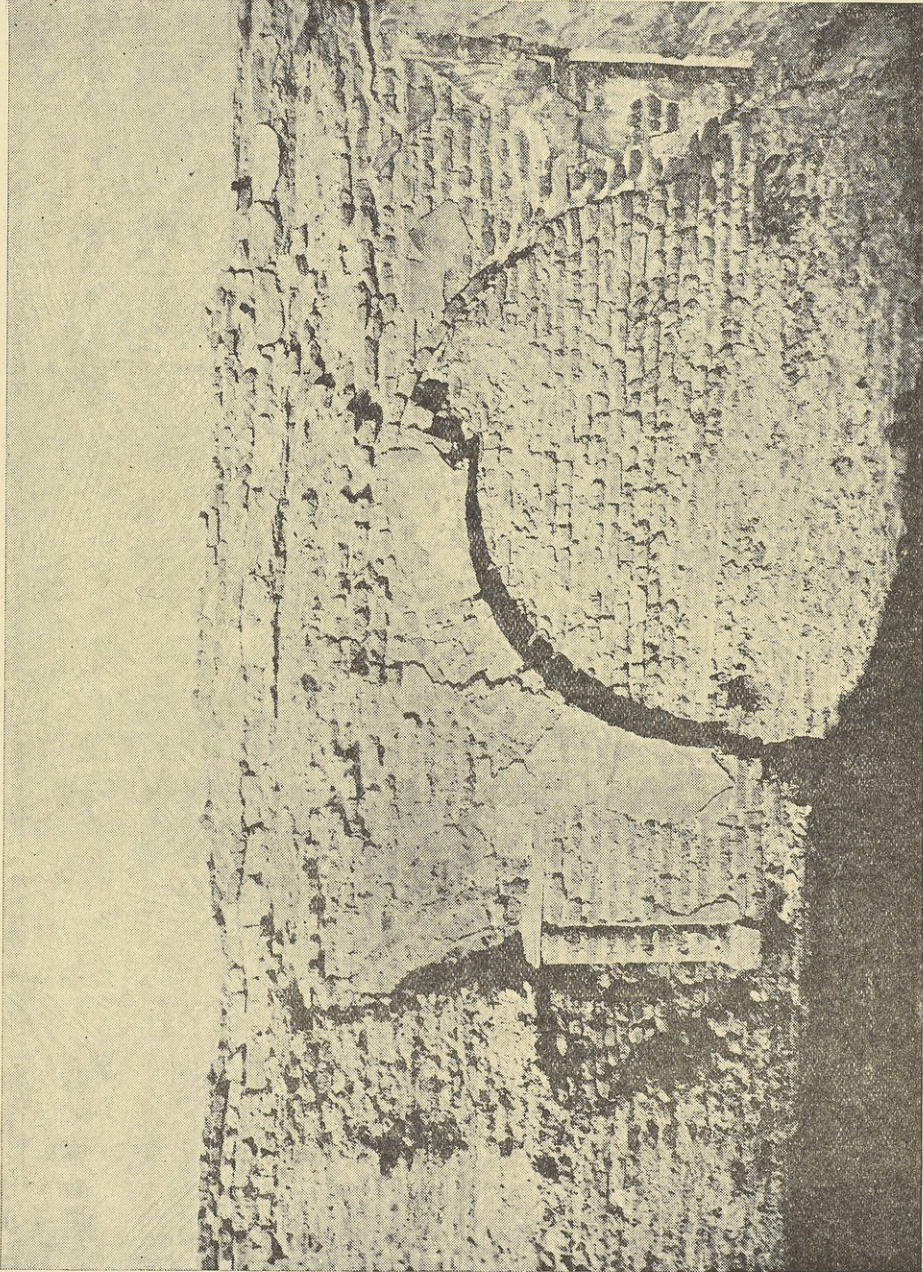
أما الجزء الشرقى من هذا الجنب (القبلى) فتوجد به مناوور مستطيلة الشكل مفتوحة بالقرب من سقف الجامع بحالة تدل على أنها أحدث شبابيك الجامع عهدا . وفيما عدا ذلك فان الأمل ضعيف فى العثور على بقايا قديمة بالجنب القبلى المذكور تفيدنا فى البحث الأثرى .

والجنب البحرى الذى هو الواجهة الرئيسية للجامع الآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهى :

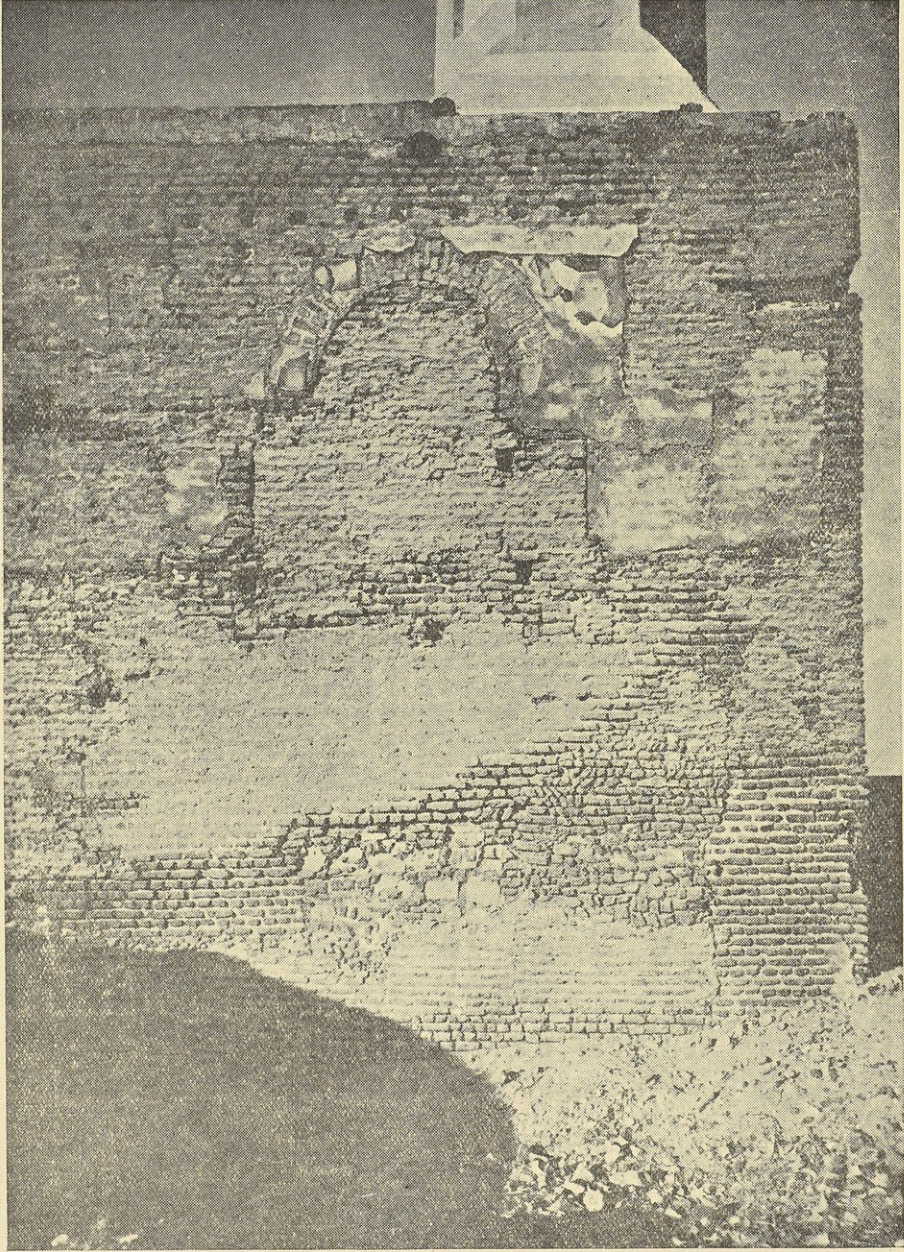
- (١) الطرف الشرقى الذى هو أحد أضلاع قاعدة المئذنة الجديدة .
- (٢) الطرف الغربى الذى هو أحد أضلاع المئذنة المستجدة .
- (٣) الجزء المحصور بين هذين الطرفين وهو الذى جدده الأميرسلار



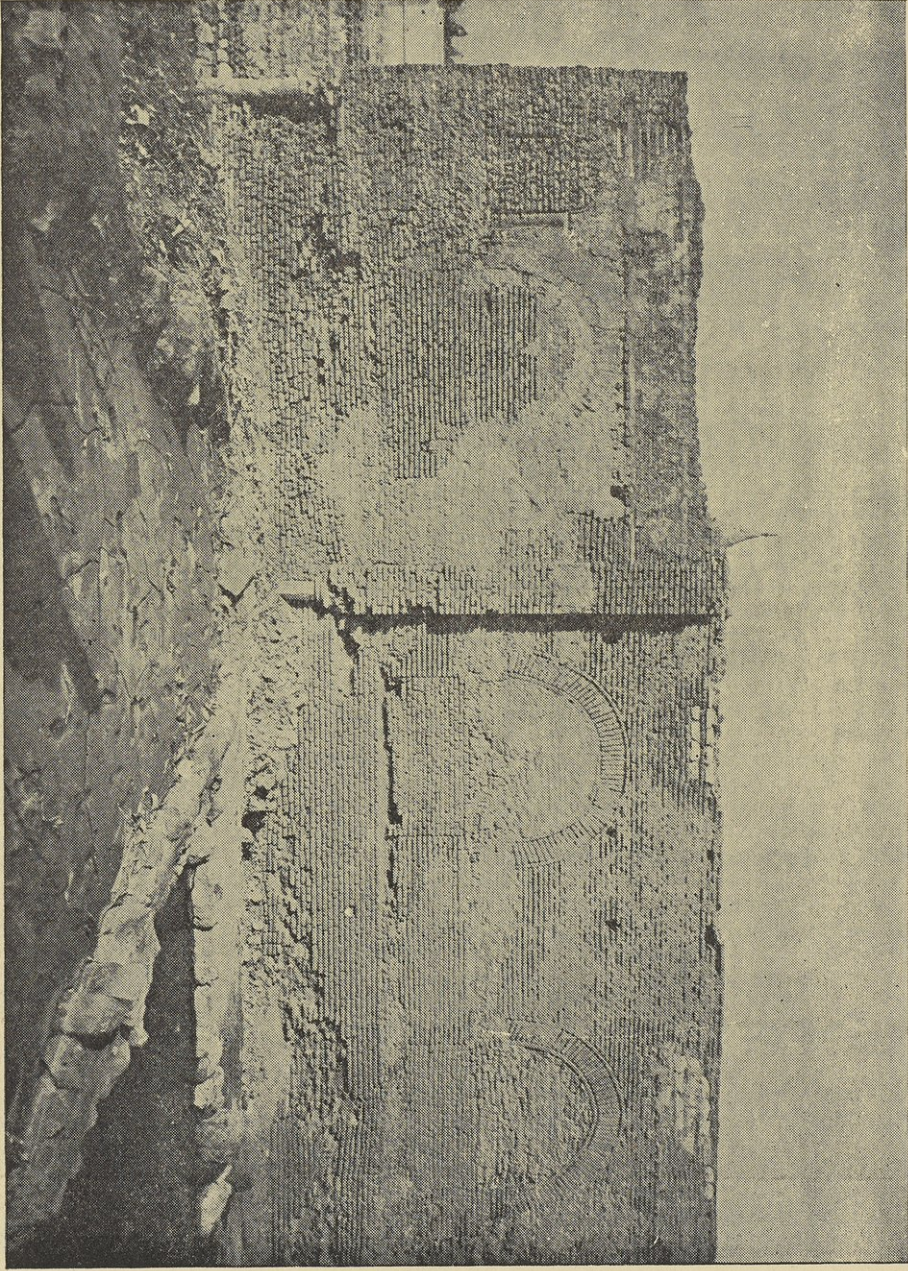
شباكين بأبواب الحجرى (الشرقى قديما) بين البابين الرابع والخامس من الخناج



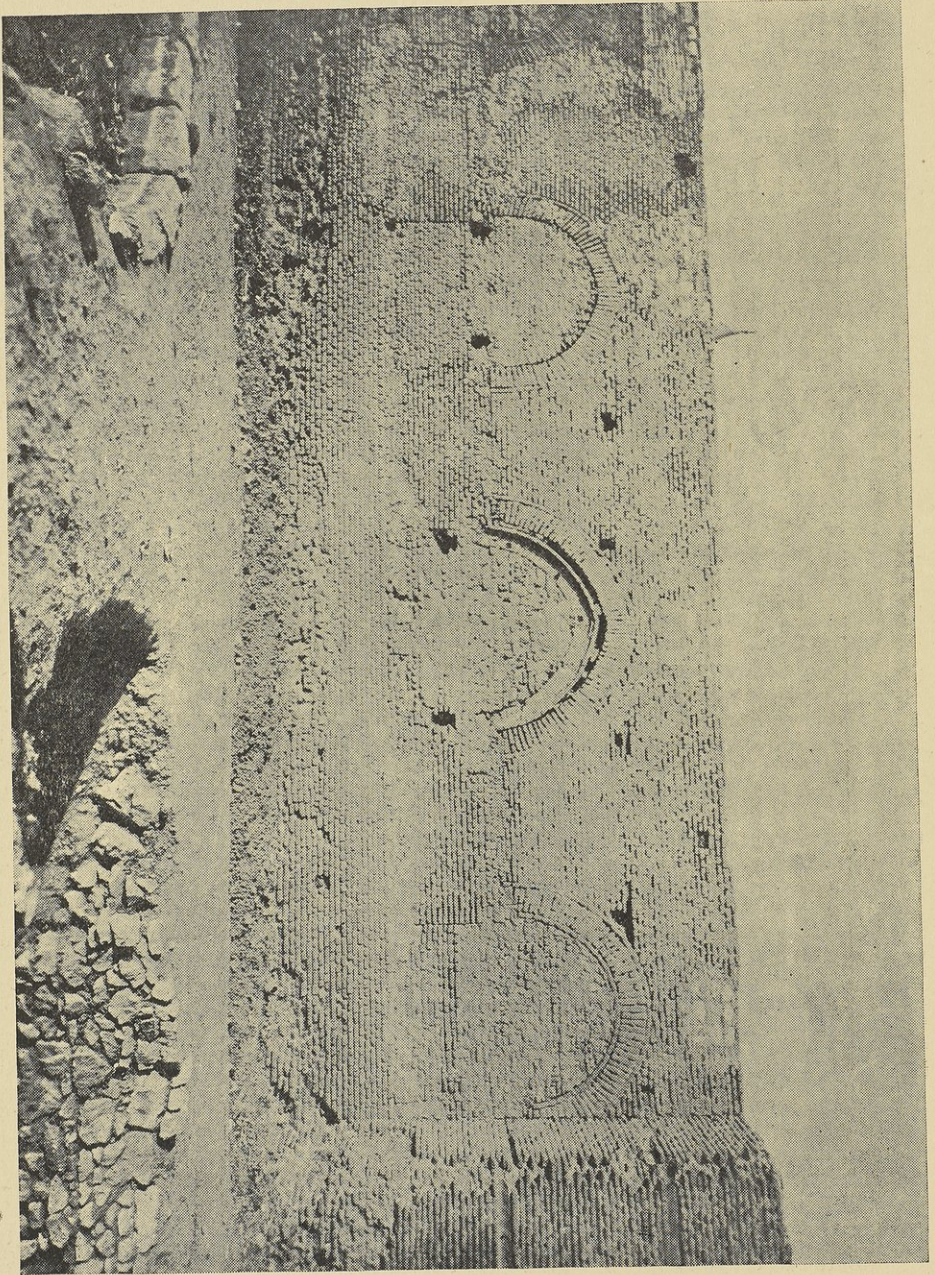
جزء من عقد شباك بالقرب من النصاب القبيلة للجنب الغربي



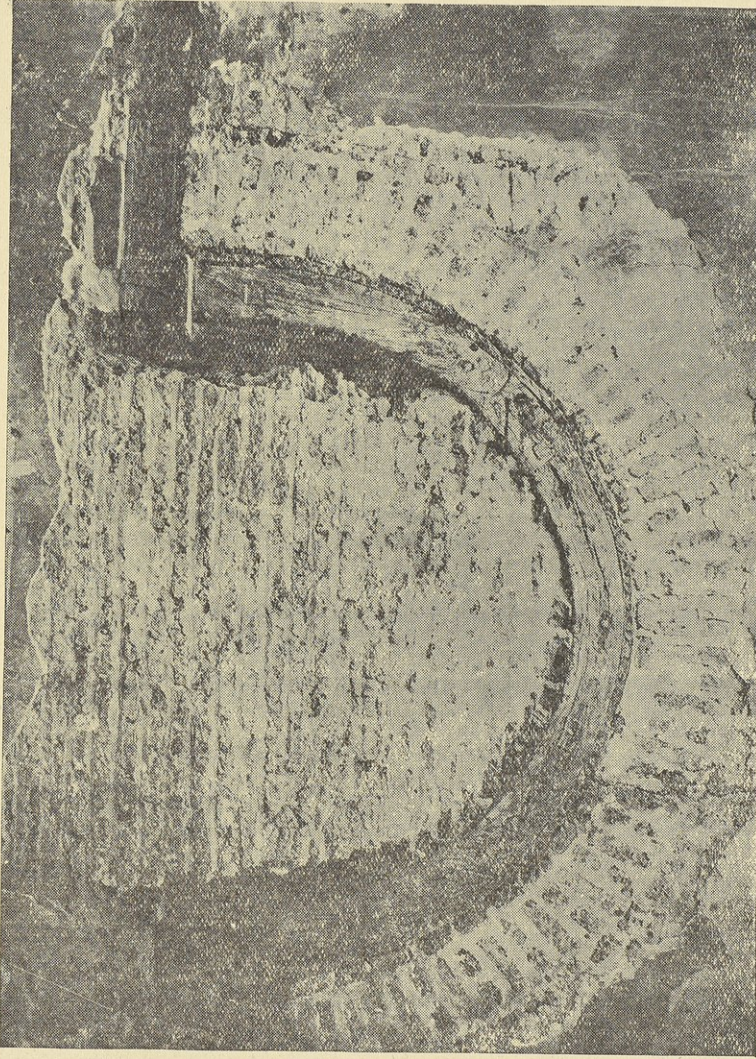
(شكل ٤) شباك بالجدار القبيل (الغربي) بنهايته الشرقية أسفل المئذنة القبلية



الصورة رقم ١٠



— ٢ — شباطك بأبصار القليل (العربي قديما)

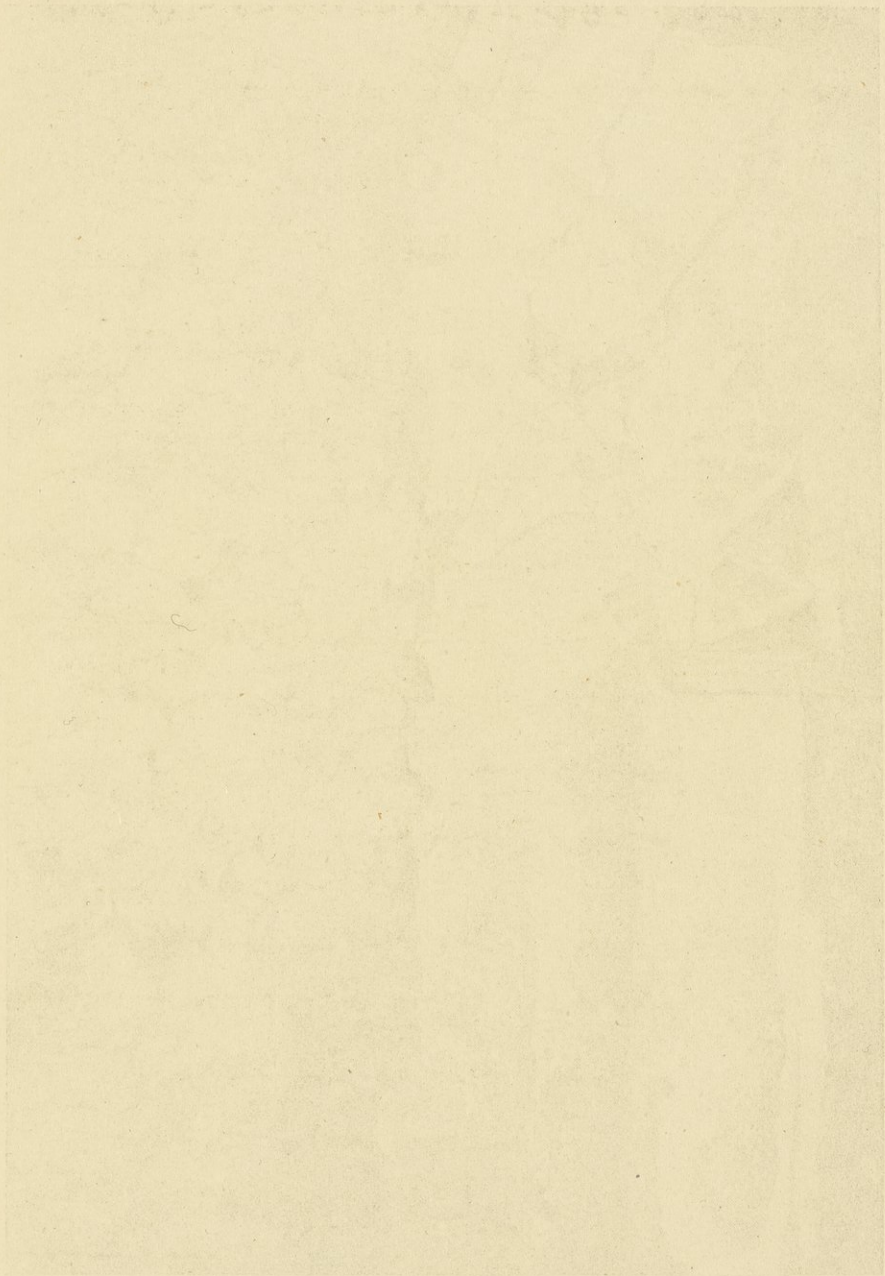


شبابك بأول الجنب العربي من الجهة البحرية

الصورة رقم ١٢



طاقه جصية بالقرب من النهاية القبليّة للواجهة الغربيّة



في عهد الناصر محمد بن قلاوون، والذي لا يزال إلى الآن محتفظا ببقايا أثرية هامة كالمحراب الجصى المزخرف و ببعض فتحات الشبابيك القديمة التي ترى من داخل الجامع؛ أما من الخارج فإن الترميم الذى عمل فى هذا الجزء قد أدى إلى سدها .

وأما الطرفان فقد دل الكشف على وجود آثار شبابكين بكل منهما ومن فحصهما ظهر لنا أن بهما بقايا إطارين من الخشب المحفور (أويمة) من نوع واحد ساعدتنا ضمنا على وضع تصميم للإطارات الخشبية للشبابيك وهو ما يجعلنا نرجح كثيرا أن هذه الإطارات كانت موحدة الشكل فى جميع شبابيك الجامع . ولقد كان من نتيجة عظم التغير الذى طرأ على هذين الطرفين أن صار من المستحيل معرفة حقيقة شكل فتحات الشبابيك بهما .

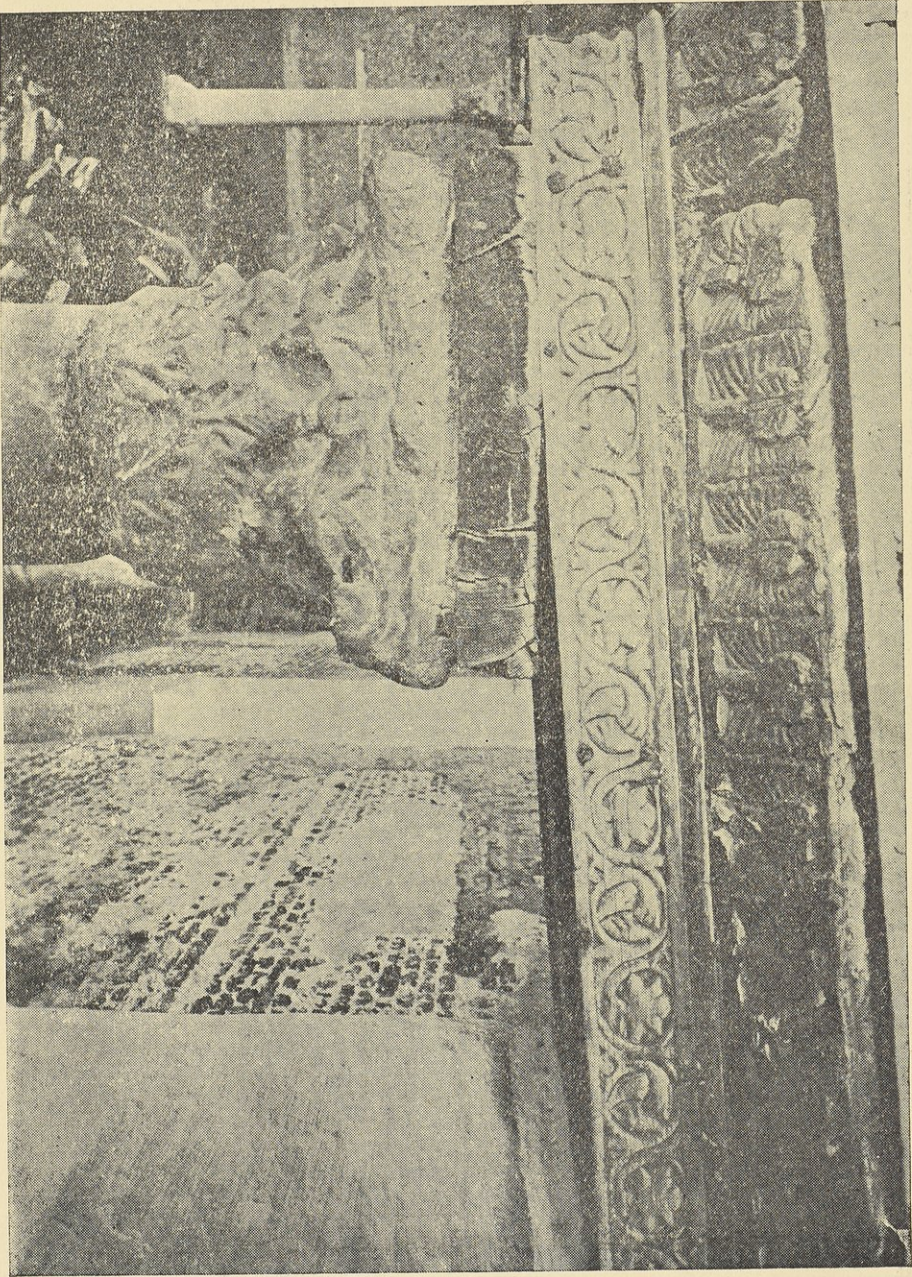
بقى الجنبان الشرقى والغربى وهما كسابقهما طرأت عليهما تغيرات كثيرة ، إلا أن الزمان أبقى على بعض أجزاء بهما على جانب عظيم من الأهمية ، لأنها تساعد على معرفة هيئة فتحات الشبابيك ووضع تصميم تقريبي للوجهات ، وتلقى ضوءا جديدا على تلك المسألة الغامضة — مسألة الطابالى الخشبية المزخرفة الموجودة فوق تيجان بعض الأعمدة والعصر الذى صنعت فيه . وأخيرا تمكنا من البت فيما يقال عن وجود بقايا ترجع إلى ما قبل العهد الفاطمى .

ومما هو جدير بالاعتبار أن البحث في مسألة الشبايبك أدى بنا إلى نتيجتين :

(الأولى) عدم وجود شبايبك بالجامع مطاقا حافظة لهيئتها الأصلية من الداخل والخارج معا بل إن بعضها احتفظ بها من الداخل (الصورة رقم ١٢) وبعضها احتفظ بالعقود فقط ، (الصور رقم ٧ ، ١٠ ، ١١) والبعض الآخر أضع هيئته بأكلها .

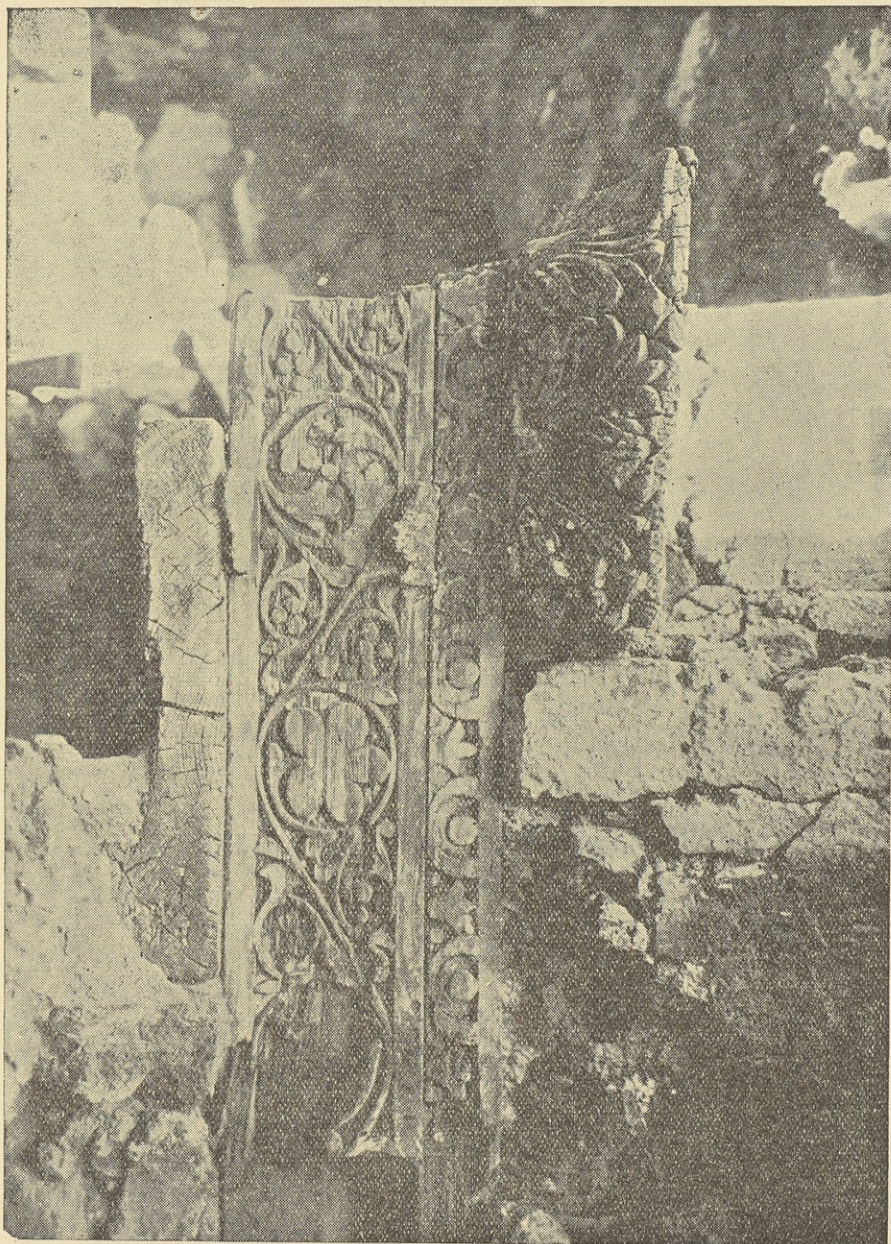
(الثانية) أنه بواسطة الشبايبك التي احتفظت بهيئتها من الخارج والأخرى التي احتفظت بهيئتها من الداخل أمكن معرفة :

(١) أن الشكل الكامل للشباك الأصلي كان مكونا من فتحة مستطيلة يعلوها عقد قريب من نصف دائرة سعته أصغر من سعة الفتحة ومتكئ بطرفيه على طبلية من الخشب محمولة على عمودين قائمين عند منتصف سمك الشباك وحاملين أيضا لطبلية أخرى من الخشب ممتدة بقدر سعة العقد وقاسمة الشباك الجصى المركب بوسط السمك الى قسمين : أحدهما أسفلها بارتفاع الفتحة المستطيلة والآخر أعلاها ومحمل عليها ومغط للعقد ، وكل ذلك موضح باللوحة رقم ٣ (٣) الذى وضع كنموذج لشبايبك الجامع وقد تبين عليه جزء من (الدرفة) الجصية الأصلية التي كانت مركبة على الشباك الثانى بالقرب من الطرف البحرى للجنب الغربى .



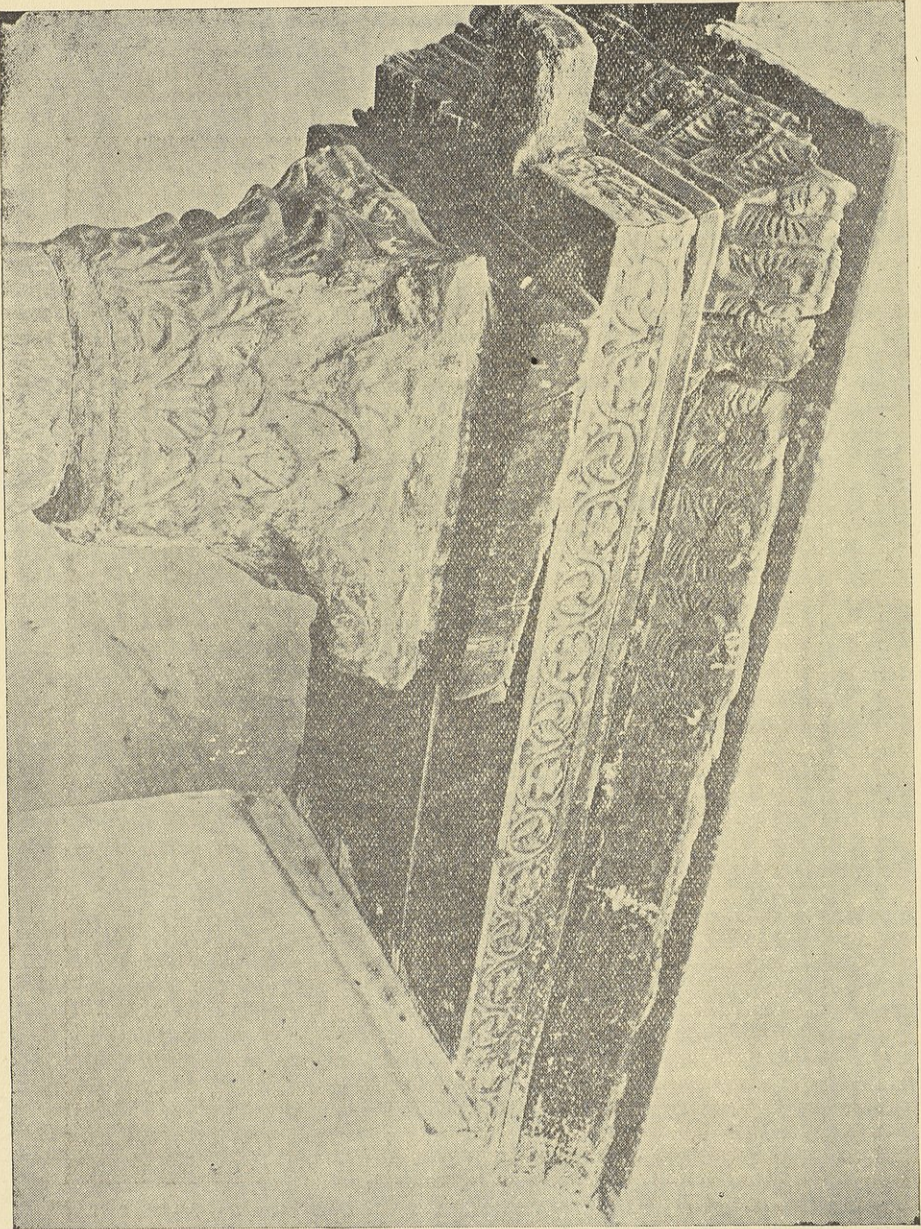
طلية عمود بايران الحراب من الجهة الغربية قديما

الصورة رقم ٤١

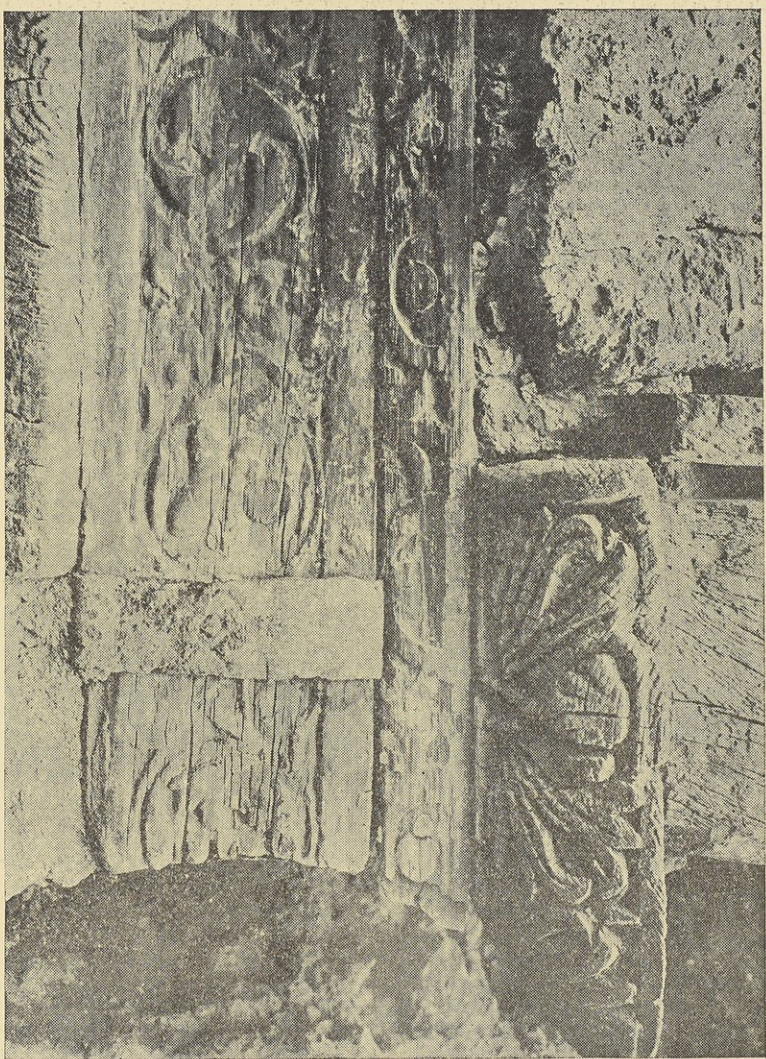


طليه بالشياك العزني للواجهة البحرية

الصورة رقم ١٥



طلية عمود بابوان الخراب من الجهة الغربية



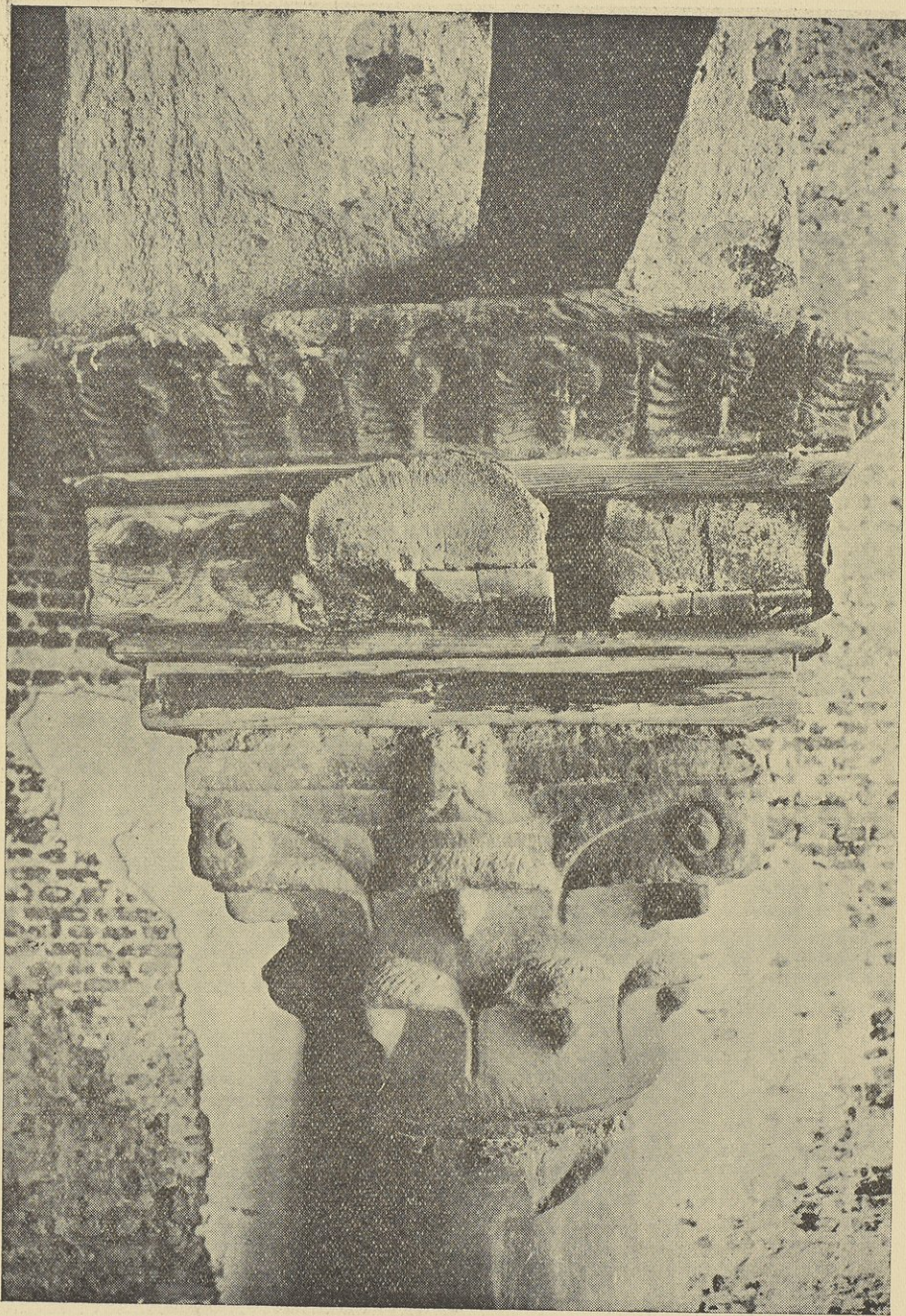
الصورة رقم ١٧

تفاصيل من زخرفة أعمدة المذبح البرقي البحري

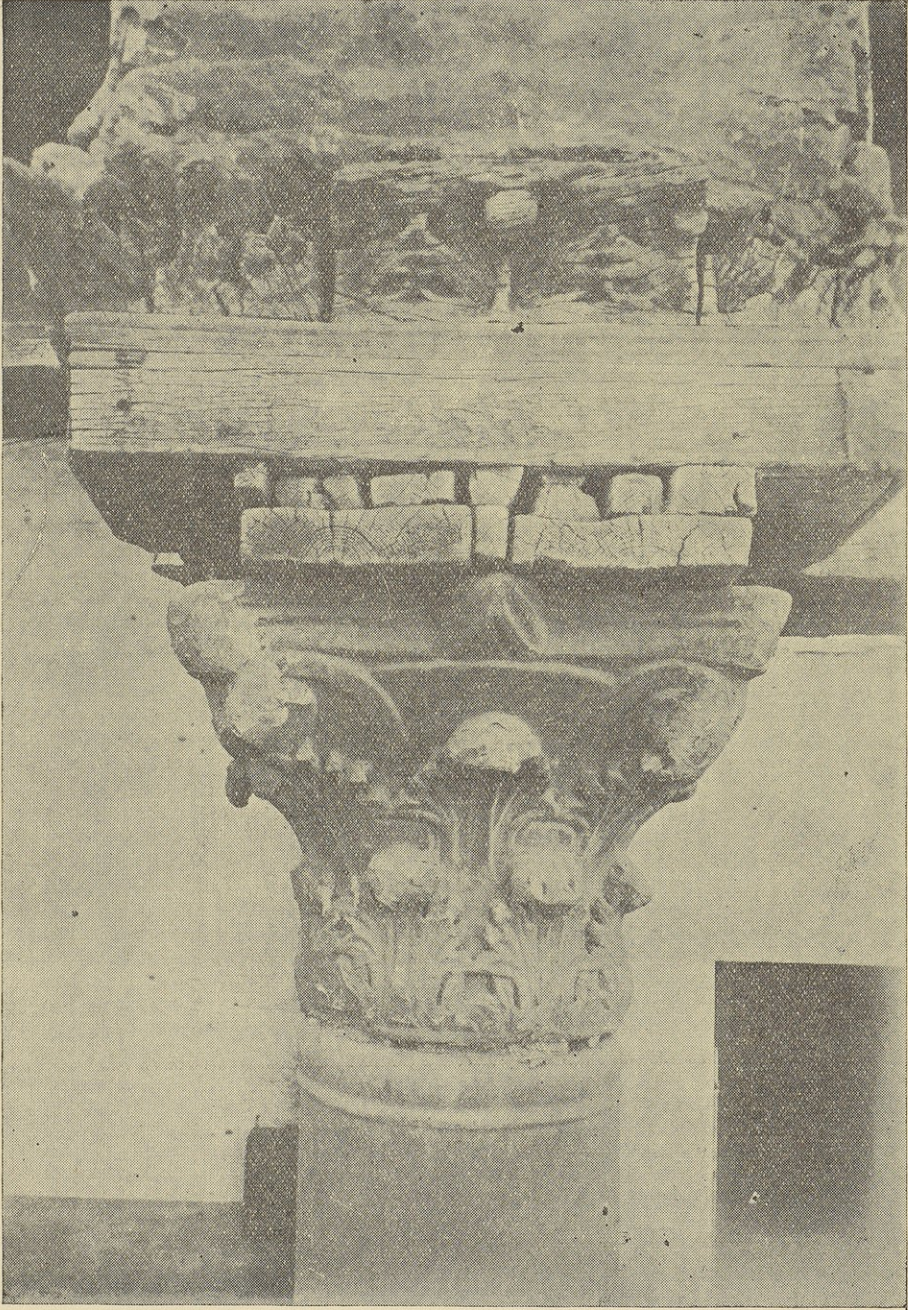
الطابوقة الخشبية بأروان الحراب من الجهة الغربية القديمة



الصورة رقم ١٨

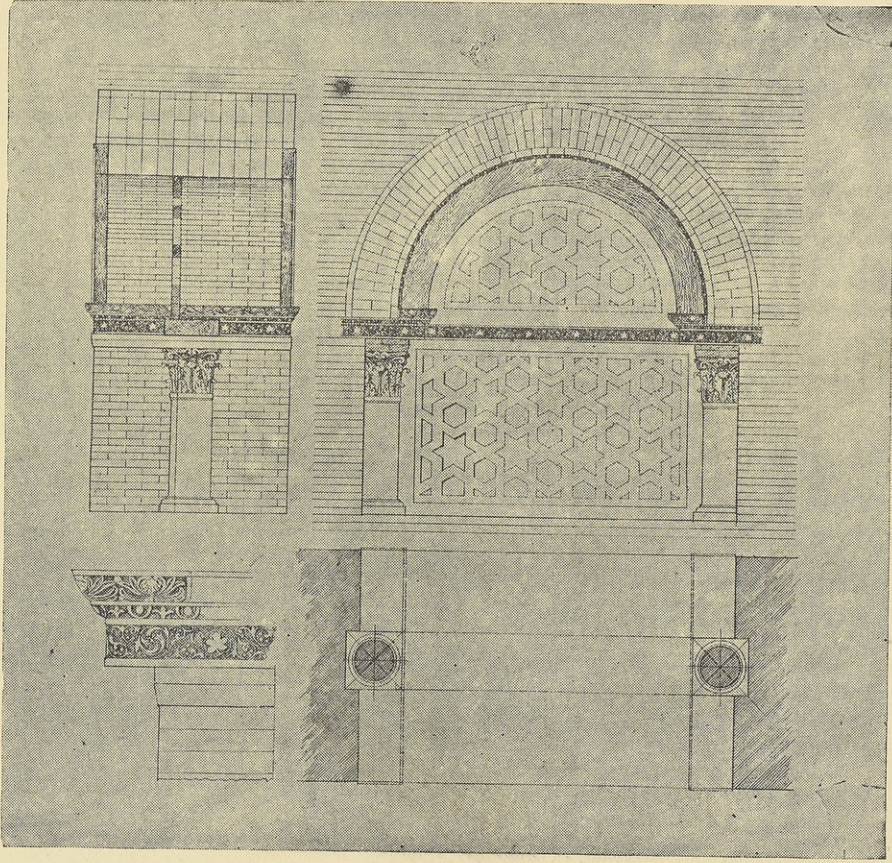


طلية أحد أعمدة إيوان احراب من الجهة القبلة قديما



طبلية عمود على يمين الداخل من الباب الغربي بالوجهة البحرية

لوحة رقم ٣



رسم كامل لأحد شبابيك الجامع الأصلية

(ب) أن شكل الشبايبك بالجنب الشرقى مطابق تماما لشكل شبايبك الجنيين البحرى والغربى بصرف النظر عن عدم تساوى سعتها .

(ج) أن كل شباك كان يكتنفه طاقتان مسدودتان وهذا ظاهر من فحص بقايا شبايبك الجنب الغربى وبعض الشبايبك بالجنب القبلى من الغرب كما فى الصورة الفتوغرافية رقم ٨

(د) أن الترميمات التى عملت بواجهات الجامع قد غيرت شكل فتحات الشبايبك تغييرا تاما وأزالت الطاقات التى تكتنفها بحيث يمكن القول بأن المباني الأصلية لهذه الواجهات من الخارج لم يبق منها سوى عدد من عقود الشبايبك والمحراب المزخرف بالوجهة البحرية وكتفين لشباكين بالوجهة الشرقية محصورين بين البابين الرابع والخامس . ومن هذين الشباكين أمكن معرفة شكل شبايبك الجامع من الخارج، أما من الداخل فعرف شكلها بواسطة الشباكين البحرين بالوجهة الغربية .

طراز شبايبك الجامع - قلنا إن شبايبك الجامع كانت كلها على طراز واحد، أى على شباك عقده قريب من نصف الدائرة تكتنفه طاقتان

مسدودتان . وهذا النظام ذاته متخيل من نظام الشبابيك الباقية التي كشفناها بالجامع الأزهر حيث ترى عقودها قريبة من نصف دائرة ، وحيث كل شبك يكتنفه شبا كان مسدودان .

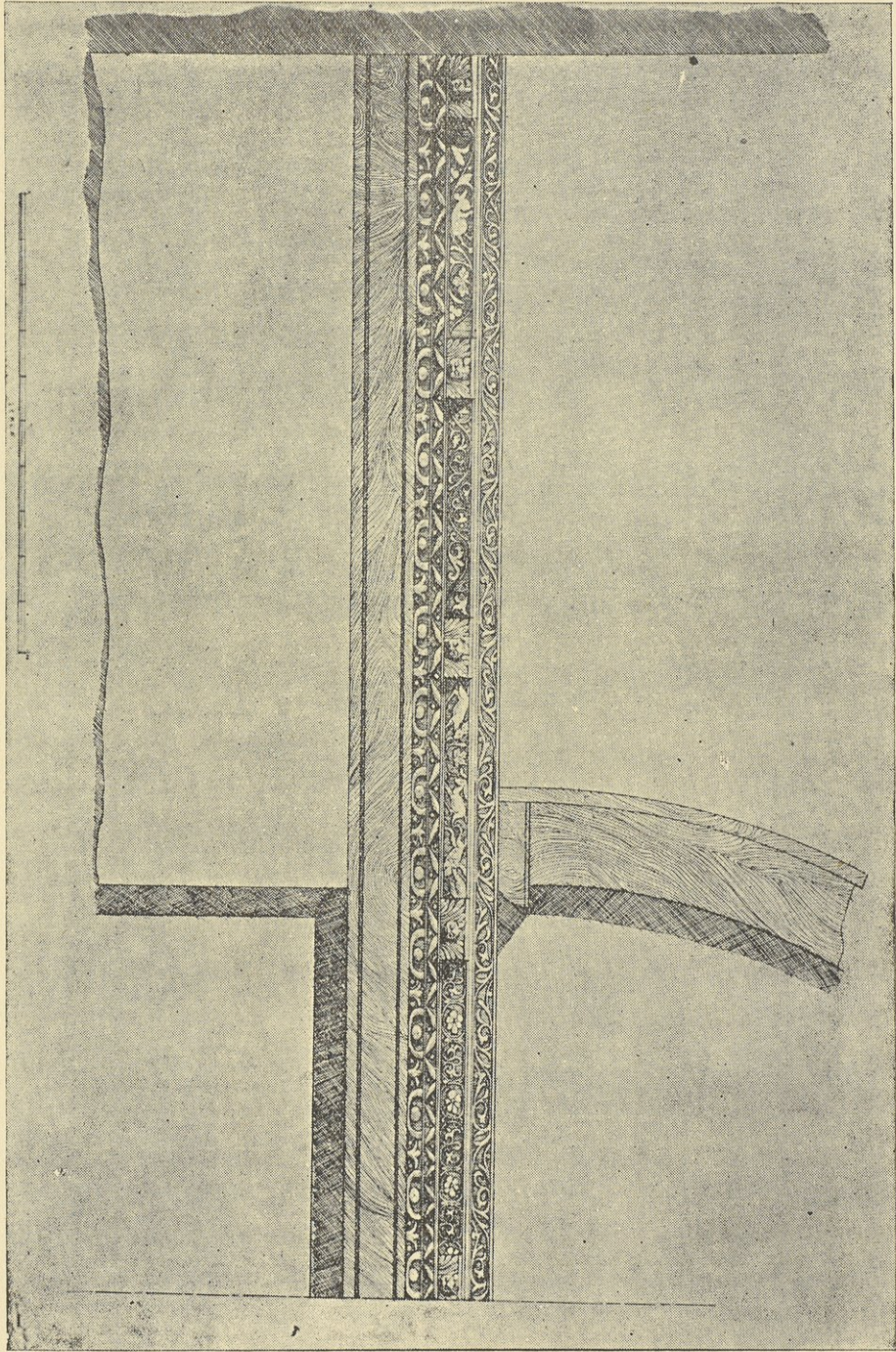
نعم إن هذا النظام اتبع من قبل في وجهات الجامع الطولوني إلا أن عقود شبابيكه مدببة لا قريبة من نصف الدائرة . هذا فضلا عن أن سعة الجزء المستطيل من الشبابيك مساوية لسعة العقد الذي يغطيها بخلاف الحال في جامع عمرو . كذلك فإن الأعمدة المكتنفة لفتحات شبابيك الجامع الطولوني هي أعمدة متصلة وفي استواء سطوح الواجهات ومبنية من نفس مادة بنائها (أى الطوب) في حين أنها في جامع عمرو موضوعة في نصف سموك الجدران ومصنوعة من مادة مختلفة (هي الرخام غالبا) وهذا النظام لم أعر عليه إلى الآن في غير جامع عمرو ، وإن كنت وجدته في كنيسة أبي السيفين المشيدة في العصر الفاطمي .

وإذا عدنا إلى ما قلناه آنفا من أن عمارة عبد الله بن طاهر قد زالت بسبب الحريق الذي حدث بالجامع سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م)

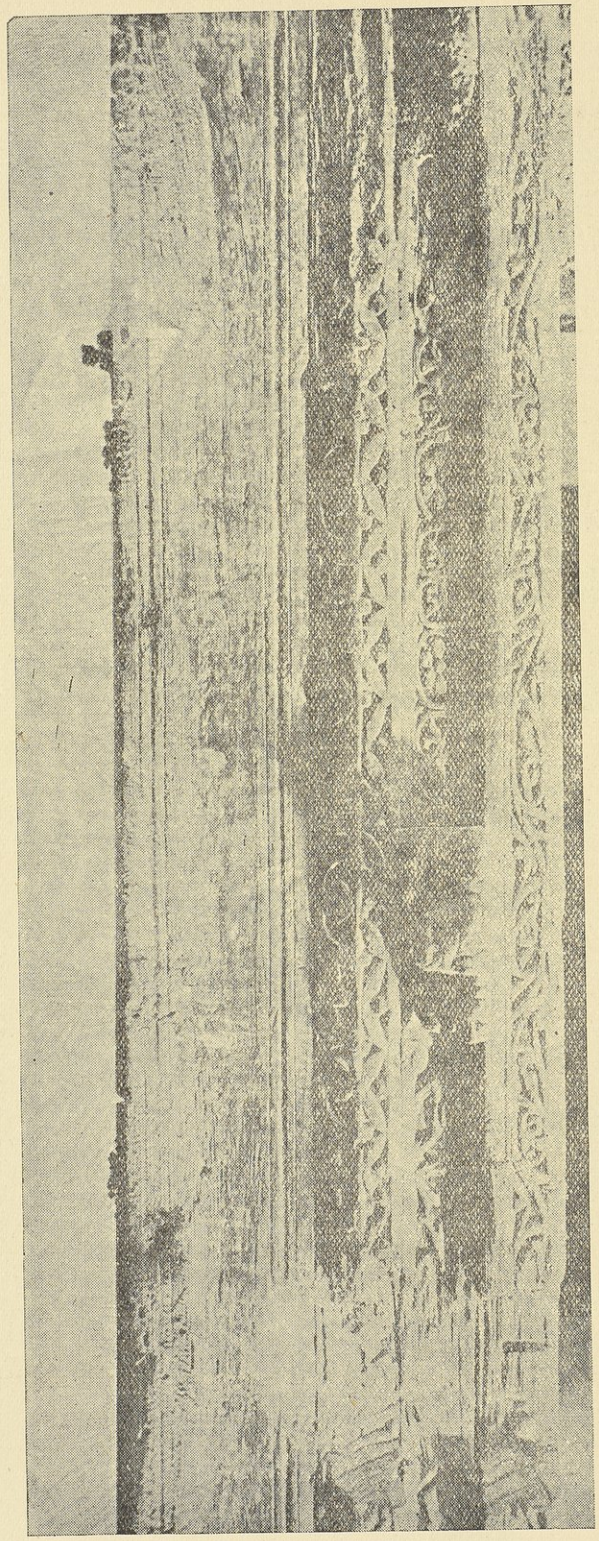
عقب جحشيب وأشباه البحري من الخشب العربي



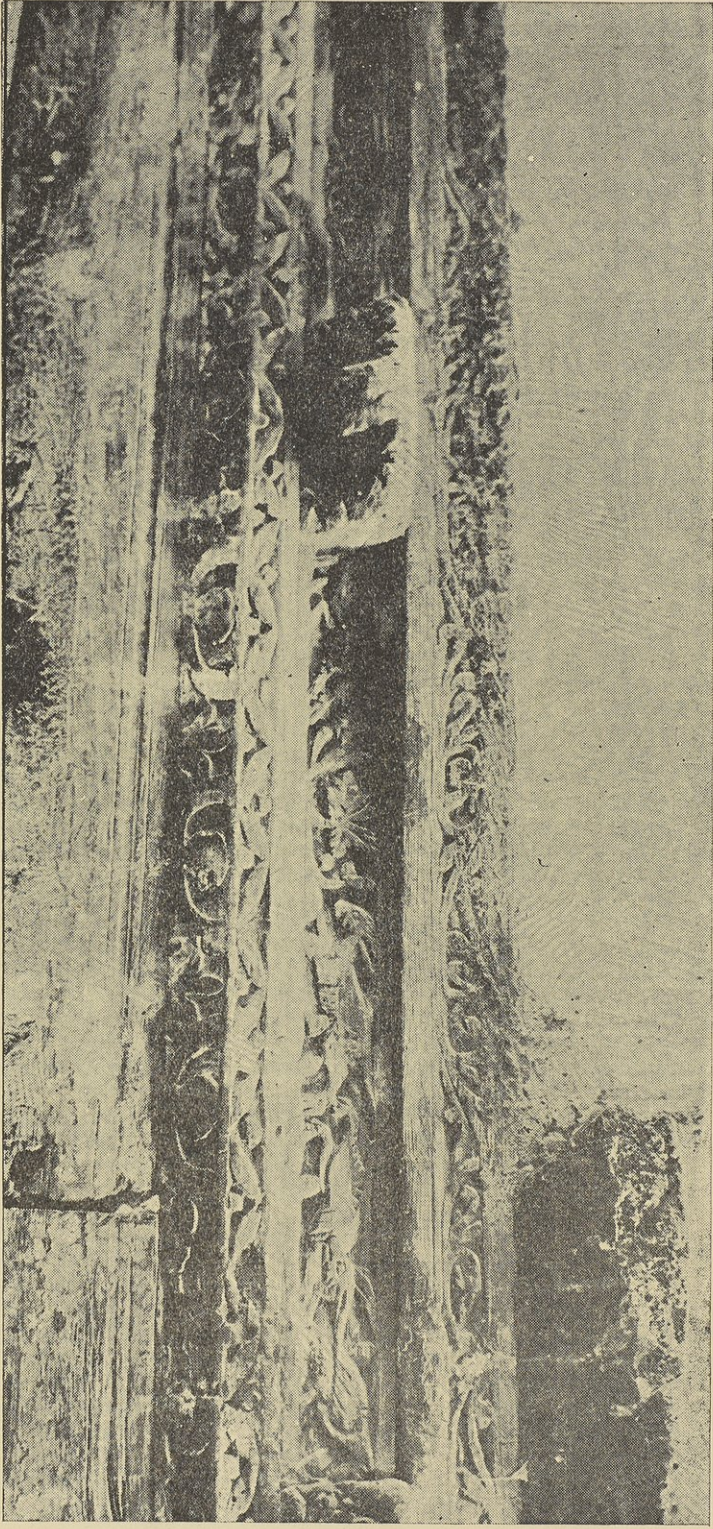
الصورة رقم ٢١



تفاصيل القبة المزخرف بكهيسة أبي السيفين الداخلية



عقب مزخرف من كنيسة أنى السفين القديمة



صليب من حروف من كنيسة أني السيوفين القديسة

الصورة رقم ٢٣

فيحتمل جدا عدم وجود بقايا بالجامع ترجع إلى ذلك العهد في النصف الغربي من الجامع الذي هو من عمل ابن طاهر المذكور. كذلك ذكرنا أن المئذنتين (الجديدة) (والمستجدة) وهما القائماتان على طرفي الواجهة البحرية بنيتا بعد سنة ٥١٥ هـ (١٢٢١ م) ولا تزال قاعدتهما حافظتين لكثير من معالمهما الأصلية وخصوصا هيكل Skeleton الشبائيك وجانب من خشب حلق شباك والحزام المتصل به - إذا ذكرنا كل ذلك فلا يسعنا إلا القول بأن جميع البقايا الأصلية بالجامع فاطمية الأصل وأن عهدهما راجع إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري .

نجارة الجامع - كان المعروف عن نجارة الجامع القديمة أنه لم يبق منها الآن إلا أجزاء من الطبالي الخشبية المنحرفة التي تعلو بعض تيجان الأعمدة القائمة بالنصف الغربي للإيوان القبلي ، لكنا وجدنا في هذه الطبالي طبليتين أخرين كانتا فوق تاجي عمودين يكتنفان الباب البحري بالجدار الغربي المعروف "بباب الأكفانيين" زيادة على طبلية ثلاثة فوق تاج عمود على يمين الداخل من الباب الغربي بالواجهة البحرية ، وأخرى فوق

أحد الأعمدة غربى المحراب. ومن هذا رجع عندى أن جميع تيجان
أعمدة الجامع كانت مغطاة بطبالي مزخرفة من هذا القبيل (الصور
١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠).

ولما كان من الآراء التي أبدت عن هذه الطبالي القديمة العهد
رأى يقول إنها أخذت للجامع من عمارة بنيت قبل عهد بناء الجامع
الطولوني أو على الأقل في زمن عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ
(٨٢٧ م) فاننا نرتاب في وجود بناية بمصر كانت تحوى من
الطبالي ما يكفى لتغطية نحو ٤٠٠ تاج في الجامع الأصيل وزيادته
كذلك لا نظن أنها جلبت من الخارج بل صنعت خصيصا
للجامع .

على أن هذه الطبالي لم تكن وحدها المشتملة على هذه الزخرفة بل إننا
عثرنا داخل قاعدتى المئذنتين (الحديدية والمستجدة) على أجزاء من
نجارة الشبابيك تمشى روح زخرفتها مع روح زخرفة الطبالي (الصورة
رقم ١٥) وقطع النجارة بكنيسة أبى السيفين القديمة (الصورة رقم ٢١
واللوحة رقم ٤ والصورة رقم ٢٣) وإلى حد ما مع زخرفة بعض
نجارة جامع الصالح طلائع - كذلك اتضح لنا من البحث أن طرازا
أو حزاما من هذا الخشب المزخرف كان ملتفا حول الأكتاف الفاصلة
بين الشبابيك مما يدل على أن العناية بتجميل هذا الجامع من الداخل

وإخراج بلغت حد الكمال . ولا يمكن الجزم بأن هذا الترميم تم على يد عبد الله بن طاهر بعد ما علمنا أنه عجز حتى عن تبليط الجزء الذى أضافه إلى الجامع .

وإذا نحن استشهدنا بنجارة كنيسة أبي السيفين فما ذلك إلا لعلمنا أن هذه الكنيسة بنيت فى أوائل القرن السادس الهجرى على الأقل ، أى فى عهد الدولة الفاطمية ولهذا نميل إلى الظن بأن البقية الباقية من نجارة جامع عمرو سواء أكانت طبالى أم أحزمة أم حلوق شبابيك إنما هى فاطمية الطراز على الرغم مما يبدو غير ذلك من شكلها .

وإذا صح هذا الظن فإن شكل أبواب الجامع يمكن اقتباسه من الموجود فى جامع الصالح طلائع ومن باب الحاكم للأزهر وكلاهما بدار الآثار العربية .

الزيادات — اتفق المقرئى وابن دقاق على أنه كان للجامع ثلاث زيادات اثنتان منها بحرى الجامع والثالثة غربية .

أما الزيادتان الأوليتان فهما :

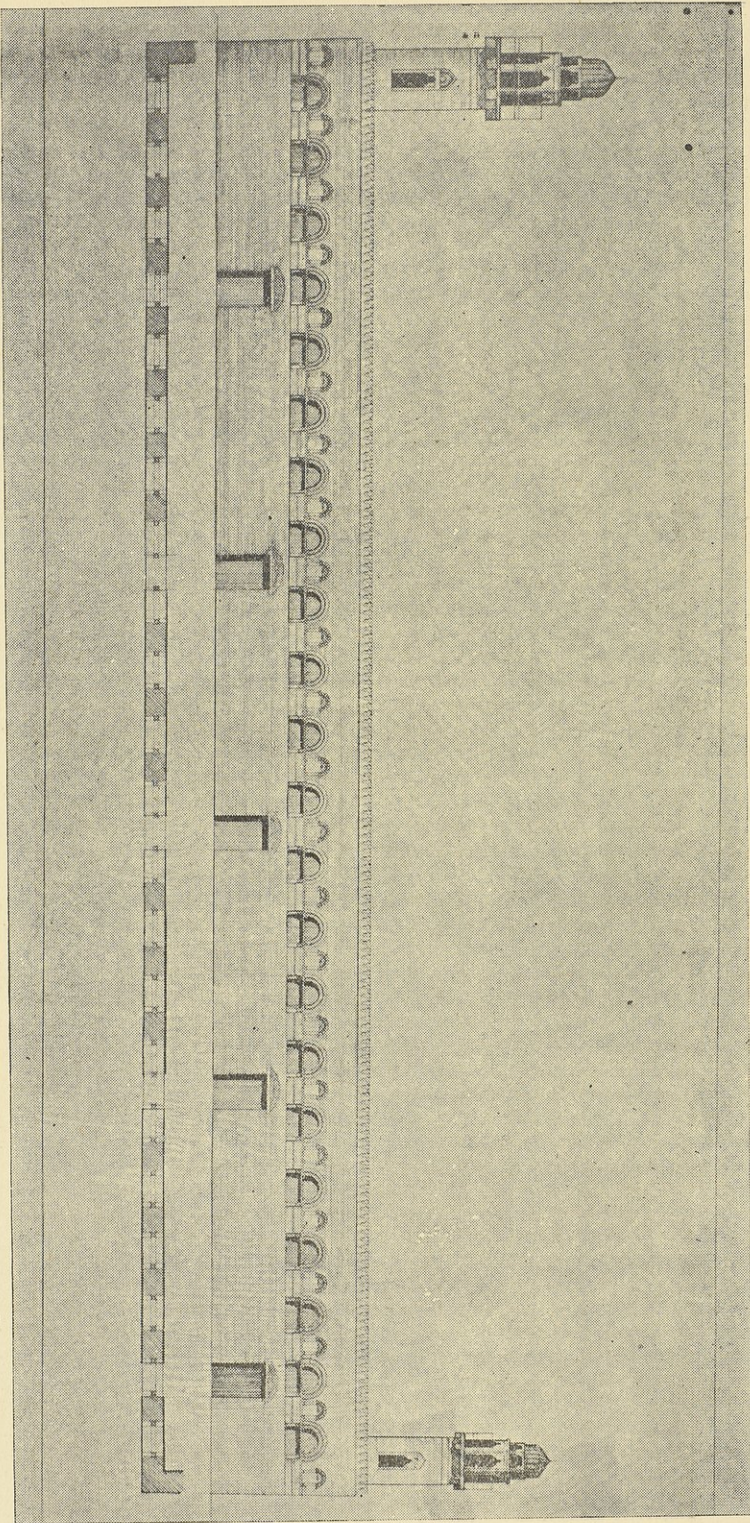
١ — الزيادة البحرية الشرقية ولها بابان أحدهما بسورها يؤدى منها إلى سوق النحاسين والثانى يؤدى منها إلى الجامع ، وهذا الباب

الأخير هو الباب الشرقى المفتوح الآن فى الوجهة البحرية للجامع وهذه الزيادة كان بها مجلس قاضى القضاة وكان سقفها محمولا على ١٥ عمودا .

٢ - الزيادة البحرية ونقسم إلى ثلاثة أقسام - القسم الشرقى وكان فيه مجلس قاضى الحكم المالكى وسقفه محمول على ثمانية أعمدة بخلاف عمودين فى محرابه الذى لا يزال باقيا من زخارفه الحصية الجميلة جزء كبير ، والقسم الغربى وكان يجلس فيه قاضى الحكم الشافعى وسقفه محمول على ثمانية عشر عمودا بخلاف عمودين يكتنفان محرابه والثالث وهو الأوسط كان يفصل بين المجلسين السابقين وبه ١٧ عمودا حاملة لسقفه . وكان للزيادة البحرية بابان مفتوحان فى سورها يقابلهما بابان مفتوحان فى الجدار البحرى للجامع وهما البابان الأوسط والغربى الموجودان حالا .

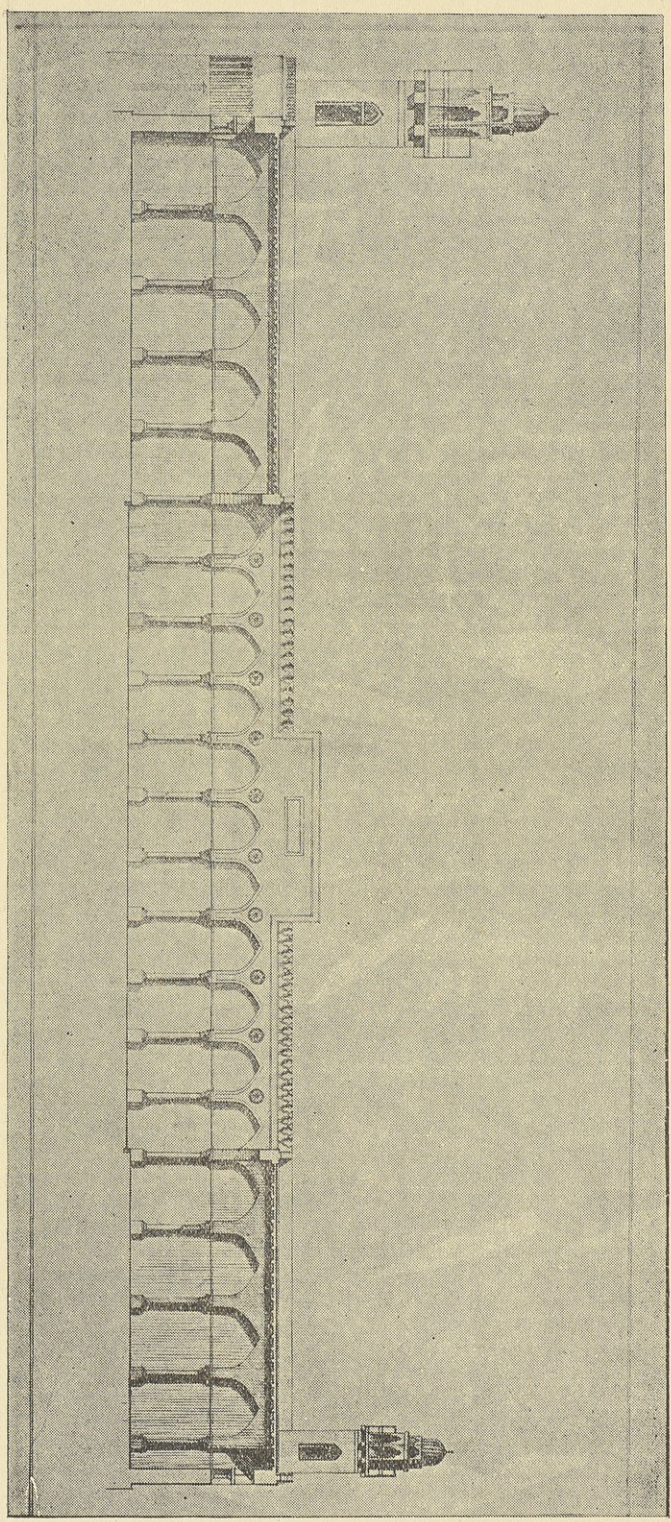
والذى نظنه أن هاتين الزياتين هما زيادة أبى أيوب^(١) وأن إضافتهما إلى الجامع كانت سنة ٢٥٨ هـ (٨٧١ م) فى عهد الأمير أحمد بن طولون أى قبل إتمام إضافة الزيادة الغربية بنحو مائة سنة (أنظر اللوحة رقم ٢) وهذه الزيادة الأخيرة تمتد مبحرة

(١) ابن دقاق - ج ٤ - ص ٦٦ و ٦٧



الواجهة المشرقية للجامع (١٢٠ متر)

لوحة رقم ٢



قطاع رأسى من الجامع من الغرب إلى الشرق

من مثذنة عرفة إلى الباب الثاني من الأبواب الأربعة التي كانت مفتوحة بالجدار الغربي للجامع، أي بطول ٥٠ مترا تقريبا. وكان لها بسورها ثلاثة أبواب. أما الأبواب المفتوحة من الجامع عليها فاثنتان فقط. وسقف هذه الزيادة محمول على ٢٢ عمودا بخلاف أربعة أعمدة كانت تكتنف محرابها، وأما عرض هذه الزيادة فغير معلوم في الوقت الحاضر، لكن إذا صح أن هذه الزيادة هي بعينها مجموع زيادتي الحارث والحازن (ص ١٧) فإن عرضها يكون تسعة أذرع أو ٦,٧٥ أمتار. وأما عرض الزيادتين الأولى والثانية فتدل البقايا التي عثرنا عليها على أنه كان حوالي ١٤ مترا تقريبا. ومن هذا الوصف يتضح أن زيادة جامع عمرو كانت من ناحيته البحرية وبعض ناحيته الغربية وليست كزيادات الجامع الطولوني كما قتر ذلك كوريت بك.

ومما يؤكد وجود زيادتين بالمسجد لا ثلاث زيادات ما ذكره المقرئزي وابن دقاق بمناسبة الكلام على زيادة عبدالله بن طاهر عن بلوغ ذرع الجامع (سوى الزيادتين) ١٩٠ ذراعا طولاً بذراع العمل في ١٥٠ ذراعا عرضاً.

الخاتمة

الآن وقد أتينا على تاريخ الجامع والأدوار التي اجتازها منذ إنشائه إلى الآن فتمتد تمكنا من :

١ - عمل رسم أفقي للجامع طبقا للبيانات التي ذكرها ابن دقاق وغيره .

٢ - عمل رسم لوجهات بناء على البقايا القديمة التي كشفناها من أبواب وشبابيك ، وبناء على البيانات سابقة الذكر . وهذا لا يفيد أن الوجهات التي رسمناها مطابقة للوجهات الأصلية تماما بل إنها على الأقل شبيهة جدا بها (اللوحة رقم ٥) .

٣ - رسم المآذن على طراز مئذنة أبي الغضنفر المعروفة الآن بأنها بنيت في نهاية الحكم الفاطمي أي سنة ٥٥٢ هـ (اللوحان ٥ و ٦) فإذا ثبت بعد ذلك أن هذه المئذنة بنيت بعد هذا التاريخ - وهو ما نسعى للتثبت منه الآن - فإن مآذن الجامع يجب أن تعمل على مثال مئذنة جامع الجيوشى المنشأ سنة ٤٩٨ هـ ١١٠٤-١١٠٥ م لأن هذه المئذنة هي وبعض المآذن الأخرى بإسنا وأسوان لانزاع في كونها فاطمية الأصل لم يدخل عليها تغيير .

وبديهي أن اخبار المآذن الفاطمية نموذجاً لمآذن جامع عمرو راجع إلى اعتقادنا أن الجامع بلغ ذروة مجده في أواخر حكم الدولة الفاطمية .

وختاماً نرجو أن يكون في محتويات هذه الرسالة من البيانات ما يلقى ضوءاً جديداً على تاريخ هذا الجامع الذي هو في الواقع أقدم أثر إسلامي بمصر .

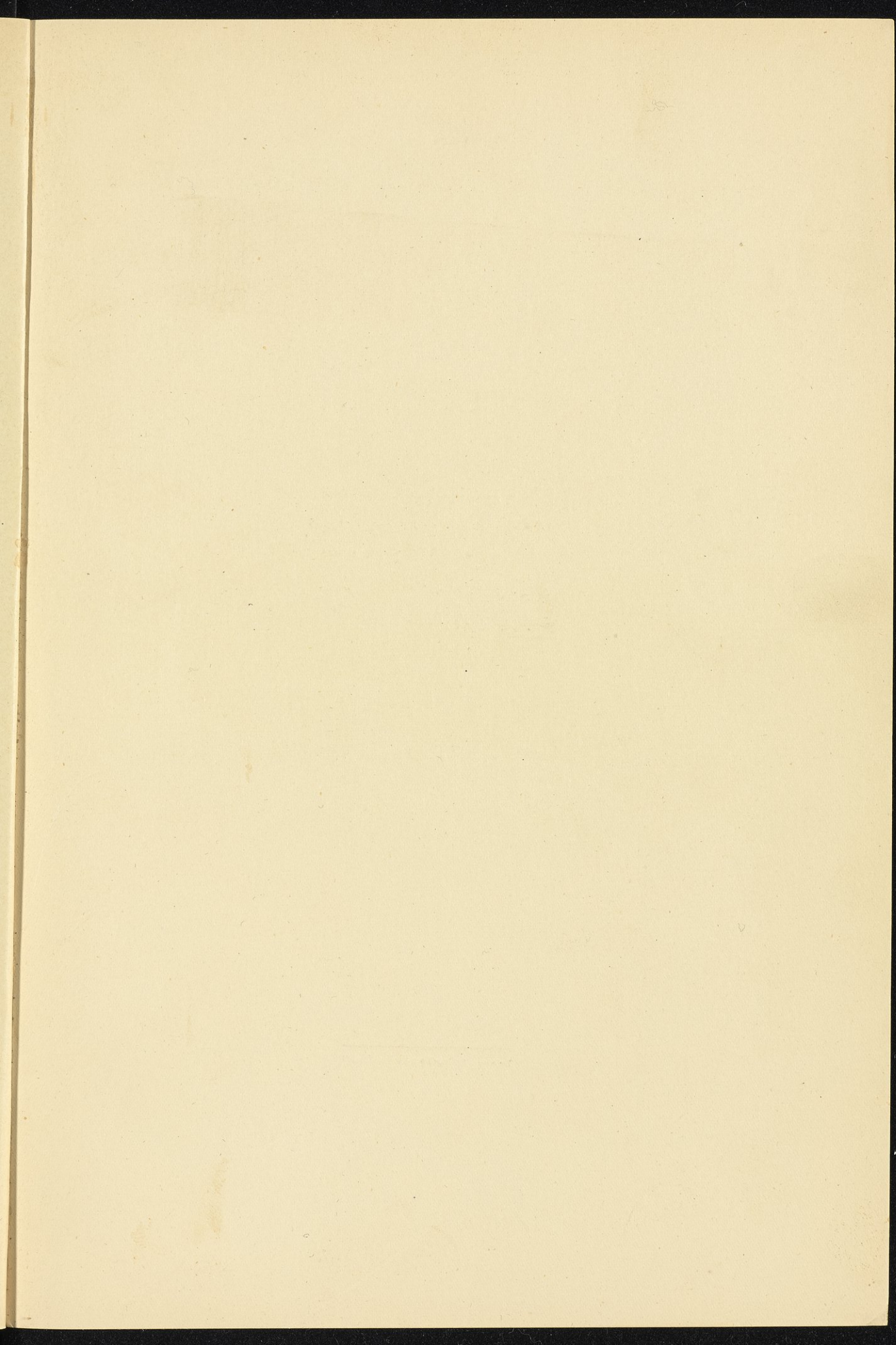
تصويب

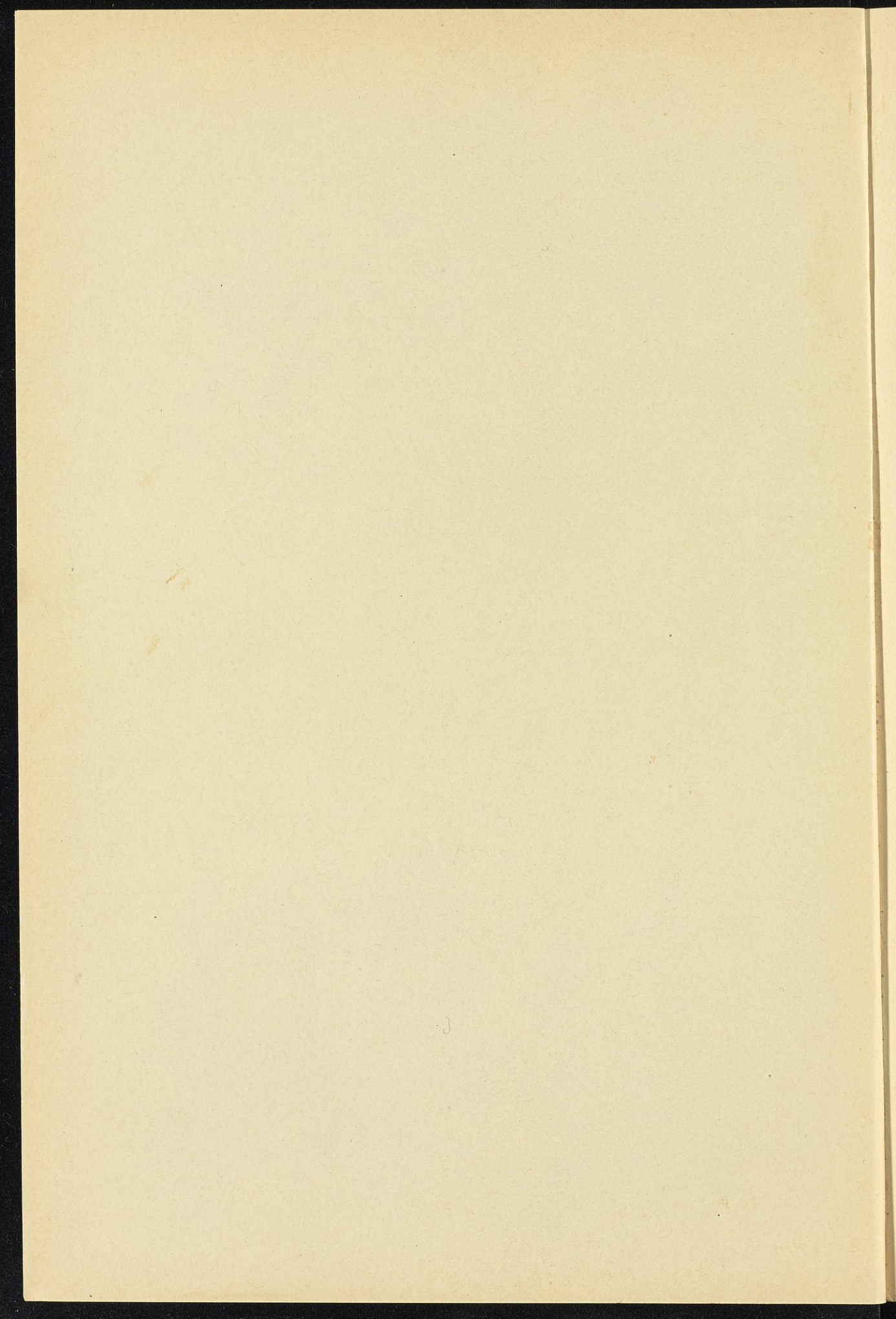
الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر
استعملت	استعملت	٨	٨
سنة ٩٢ هـ (٧١٠-١١ م)	سنة ٩٣ هـ (٧١١-١٢ م)	١	٩
أبوابه الشرقية خمسة	أبوابه خمسة	٣	١٠
يلغ	يلغ	٤	١٣
(ا ج)	(ا ح)	١	١٤
كانت	أكانت	٦	١٤
١٠١٦	١١٠٦	١٦	١٤
تخطيط الجامع وبناء	تخطيط وبناء	١٧	١٥
بينها وبينه من نحو القبلة دار	بينه وبينها دار	٢	١٩
الأطروش	الأطروشي	٨	١٩
بترعها	بترعها	٩	٢٠
١٠١٦	١١٠٦	١٨	٢٠
٧٣	٩٣	٤	٢٥
وفي سنة ٤٥٠ (١)	وفي سنة ٤٥٠	١٣	٢٥
يوسف كانت آثارها باقية إلى يوسف هذه بقيت آثارها إلى	يوسف كانت آثارها باقية إلى يوسف هذه بقيت آثارها إلى	١١	٢٩
علماء	علماء	١٨	٢٩

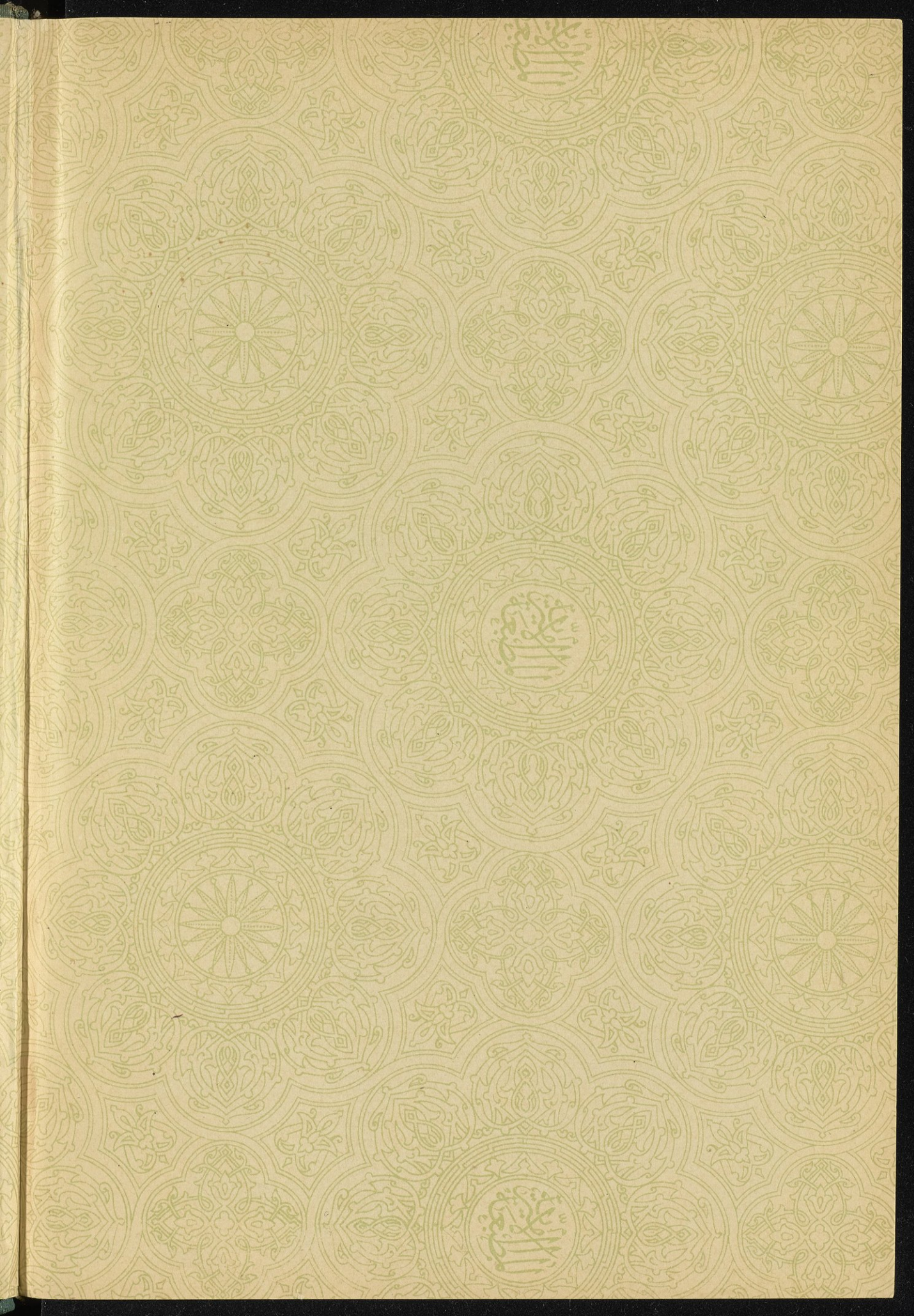
الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر
القضاء تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين	القضاء تاج الدين	٢	٣٢
الشرار بين	الشرابين	٢	٣٥
٧٠٣—٧٠٢	٧٠٣—٧٠٣	١٢	٣٥
صدر الدين بن البارنبارى	صدر الدين البارنبارى	٩	٣٦
لجنة حفظ الآثار	لجنة الآثار	٤	٤٠
اللازمة له ومقدار	اللازمة ومقدار	٣	٤٠
أرض	أرضية	٥	٤٠
يستقر	يقر	٧	٤٠
٨٠٩	٩٠٨	٩	٤٢
عمرو أسفل	عمرو وأسفل	٤	٤٦
تحذف	(لوحه رقم ٢٠)	٨	٤٦
٦٥	٧٥	١٨	٦١
بالقرب من الناصية	بالقرب من النصاب		٦٨
رقم ٣	رقم ٣ (٣)	١٦	٧٦
١١٢١	١٢٢١	٤	٩١

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
في يوم ٢ من ربيع الثاني سنة ١٣٥٧
(أول يونيه سنة ١٩٣٨)

مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين بي هجرت









**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01727 2801

NA6083.A57 A45 1938 Jami Amr ibn al-As bi-al-Fusta